E.S.P

الطبعة 2

EXTRASENSORY PERCEPTION

د. أحمد خالد توفيق

قصص

دار ليلى للنشر والتوزيع

E . S . P

د. أحمد خالد توفيق

دار ليلى للنشر والتوزيع

الكتاب:
E.S.P
المؤلف:
د. أحمد خالد توفيق
الغلاف
دار ليلى
التنفيذ الفني:
حسام سليمان
التدقيق اللغوي:
دار ليلى

* * *

إدارة التوزيع:
أ. عبد الله شلبي
الإشراف العام:
أ. محمد سامي

* * *

رقم الإيداع: 2010/7244

الترقيم الدولي: 978-977-6386-00-6

المهندسين — 23 شارع السودان- تقاطع مصدق — الدور الرابع- مكتب 11
هاتف: (002)(02)333700 - (002)(012)3885295
الموقع: www.darlila.com* البريد الإليكتروني: mail@darlila.com

د. أحمد خالد توفيق

E . S . P

دار ليلى للنشر والتوزيع

خمني يا هند

لا أدري حقًا متى عرفت أنني أختلف عن الأخريات.. ربما كان هذا وأنا في سن السابعة عندما كنا نلعب تلك اللعبة التي نخفي فيها الكرة في مكان ما، ثم يكون على واحدة منا أن تبحث عنها وهي تردد: "رحت فين يا كرة؟.. رحت فين يا كرة؟"

كانت صديقاتي في المدرسة يعانين صعوبات جمة في العثور على الكرة، لكن ما أعرفه عن نفسي هو أنني كنت أراها في خيالي بوضوح تام خلف تلك الشجرة أو وراء هذا السور.هكذا كنت أجدها فكانت البنات يشهقن في دهشة.. بالنسبة لي لم أشعر قط بأنني أملك أية موهبة على الإطلاق.. لقد رأيت الكرة فأحضرتها.. ما الموهبة هنا؟.. صحيح أن الكرة كانت في تلك الحفرة أو خلف ذلك السور لكنني وجدتها.. ما المشكلة؟

في سن المراهقة بدأت ألاحظ بالفعل أن هناك شيئًا غريبًا يتعلق بي.. يمكنني بسهولة أن اجد الأشياء المختفية.. لو أمسكت بشيء فمن الوارد جدًا أن أخمن من الذي كان يمسك به وما كان يشعر به وقتها..

هناك ما هو أغرب.. مثلاً ذلك الأستاذ المسن الوقور في مدرستي.. لقد صافحني ذات مرة مهنئًا على تفوقي، وفي اللحظة التي لمست يده فيها عرفت أنه يهيم بي حبًا ويكتم هذا.. يسهل أن تقول إنني كنت أتوهم لأنه من المستحيل أن يهيم أستاذ في الخمسين من عمره بمراهقة في الثالثة عشرة.. يمكنك أن تعتقد هذا لكني أؤكد لك أنني على حق..

الغريب أنني في البداية لم أجد غرابة في هذا كله وبشكل ما كنت أعتقد أن كل الفتيات مثلي.. ثم بدأت أفهم.مثلاً أقول في توجس إن هناك حريقًا في أحد فصول المدرسة فتسخر مني الفتيات، ثم نسمع الصراخ ونرى الدخان بعد هذا بنصف ساعة.. عندها تنظر لي الفتيات في دهشة بينما أدرك أنا أني أختلف.. بالتأكيد أختلف..

يجب أن أعترف أن هذه الموهبة ساعدتني على التفوق في دراستي، لأنني كنت أخمن ثلاثة أرباع أسئلة الامتحان قبل

دخوله. هناك ربع يظل مبهمًا والسبب كما عرفت هو أن هذه الموهبة غير خاضعة لإرادتي على الإطلاق.. بالواقع هي غير خاضعة لأي قانون.. أحيانًا تتخلى عني تمامًا وأحيانًا تلاحقني بإصرار.. أحيانًا تمنحني كل شيء وأحيانًا تكون شحيحة..

أنا اليوم في العشرين، وقد كونت نظرية لا بأس بها عن نفسي..

هل تريد سماعها؟

اسمي (هند الشافعي).. لو كنت ممن يحبون الجمال الفكتوري الرقيق الشفاف الذي يوحي لك بأن صاحبته ستموت بالسل بعد دقائق.. لو كنت تحب القامة الفارعة والأطراف البلورية القابلة للكسر، والبشرة شبه الزجاجية، والعينين الحالمتين المتطلعتين للسماء كعيون القديسات في الصور.. لو كنت تحب هذا فأنت سوف تجدني فاتنة!...أما لو كنت ممن يحبون الجمال الحي الوثاب اليقظ المفعم بالأنوثة فلسوف تراني أقرب إلى السحلية السقيمة التي تبعث فيك مزيجاً من التقزز والرعب..

أبي مهندس بترول رقيق الحاشية ودود، لكني لا أراه تقريبًا...طبيعة عمله تجعله يمضي معنا أسبوعًا واحدًا كل شهرين.أمي

معلمة اكتسبت الكثير من الحزم والصرامة، وهي تعتقد أن حنان الأمومة نوع من الضعف لا ينبغي إظهاره.. فقط عندما أمرض أو يتهددني خطر ما أدرك أنها حنون فعلاً.. لي أخ اصغر سنًا وأخت أكبر سنًا..

حاليًا أنا طالبة في كلية التجارة.. لقد تخلت عني موهبتي في الثانوية العامة فلم أحقق مجموعًا طيبًا، لكن الموهبة عادت لي في سني الدراسة لهذا أنا أيقونة دفعتي ورمز تفوقها، ولا شك أنني سأكون من أعضاء هيئة التدريس عندما أنهي دراستي لو لم تتخل موهبتي عني..

كان هذا هو الوقت الذي عرفت فيه الدكتور (محمود الألفي).. كان قريبًا لإحدى صديقاتي، وقد قالت لي إنه طبيب نفسي لكنه كذلك مهتم جدًا بما يدعى بعلم (الباراسيكولوجي).. طلبت منها أن أقابله، وقد كان أن رتبت لي لقاء معه في حفل خطبة إحدى قريباتها.هكذا وقفنا في الشرفة بينما صخب الحفل من خلفنا.. لم يكن أصلع الرأس ملتحيًا تطل نظرة مخبولة من عينيه وراء العوينات كما توقعت.. كان كهلاً وسيمًا في الأربعين من عمره، وقد استمع لما أقوله في اهتمام..

حكيت له عن تلك الموهبة الغريبة التي لا يعرف سرها إلا

قليلون.. كان رد فعله غريبًا جدًا فقد مد يده في جيبه وأخرج مجموعة من البطاقات.بطاقات لم أر ما هو مرسوم عليها لكنها بدت لي كبطاقات اللعب.. غريب هو الرجل الذي يحضر حفل خطبة وبطاقات لعب في جيب سترته.لوح بالبطاقة الأولى بحيث كان ظهرها لي وقال:

ـ"هذه البطاقات تدعى بطاقات (زنر).. حاولي أن تخمني محتوى هذه البطاقة التي في يدي.. "

فكرت للحظة.. خيل لي إنني أرى موجة بحر.. قلت في تردد شاعرة بسخفي:

ـ"ربما.. ربما.. موجة بحر؟"

مد يده ولوح ببطاقة أخرى.. نجمة؟.. وهكذا راح يعرض علي البطاقات التي لا أعرف ما رسم عليها وفي كل مرة يطلب مني أن أخمن.في النهاية قال لي:

ـ"أنت نجحت في تخمين خمس عشرة بطاقة من مجموع خمس وعشرين.. لا شك في أنك تملكين قدرة الإدراك الفائق للحواس أو ESP.. أي إنك من البشر الذين لا يحتاجون إلى الحواس الخمس المعروفة كي يدركوا العالم من حولهم.ويقال إن هذه الحواس غير

المعروفة كانت لدينا جميعاً ثم انقرضت.. هناك أنواع عـدة مـن الإدراك الفائق للحواس؛ منها التخاطر أو قراءة الأفكـار telepathy أو قـراءة العواطف telempathy وهناك psychokinesis أي تحريك المادة عن بعد.. والاستبصار Precognition وهو رؤية المستقبل.. ورؤيـة أشـياء ليـــست أمامـــك Clairvoyance.. وسمـــاع أشـــياء بعيـــدة Clairaudience.أما الـ Psychometry فهو قدرة الإحساس بمن لمس الـشيء.. Bilocation هـو موهبـة التواجـد في مكـانين في الوقـت ذاتـــه.. Pyrokinesis هـــي القـــدرة علـــى إشـــعال الحرائـــق ذهنياً.. Apportation هي القدرة على إحضار الماديات إليك.. "

-"يبدو لي معظم هذا كلامًا فارغًا.. "

-"هو كذلك في معظمه.. لكن لا تنكري أن بعض ما قلتـه لـك موجـود عندك.. إن الأمريكي (جوزيف بانكس راين) هو أول من حاول دراسة هـذه الظواهر بشكل إحصائي.في البدايـة درس علـم الـنفس ثـم مزجـه بـالظواهر الروحية لينـشأ علـم جديـد اسمـه (باراسـيكولوجي).المـشكلة هـي أن هـذه التجارب لا يمكن تكرارها.. بينما من أهم شروط الظـاهرة العلميـة قابليتهـا للتكرار، وهذا يعني أن هذه الظواهر خارج قانون الموضوعية العلمية"

-"وبم تنصحني؟"

-"لا شيء.. أنت تملكين موهبة فاحتفظي بها ولا تذيعي سرها فيشك الناس في سلامة عقلك.فقط حاولي أن تستعمليها لمنفعة الناس ومنفعتك"

هكذا تركته وقد فهمت.. أنا لست مريضة لكني مختلفة بشدة.. وكما حدث في قصة (بلد العميان)، وجد المبصر الوحيد في بلد العميان أن البصر لا يفيده كثيرًا، بل يجعل تعايشه مع الآخرين صعبا.. وهكذا فكر جديًا في أن يسمح لهم باستئصال عينيه..

عدت أمارس حياتي المعتادة إلى أن جاء يوم كنت فيه في الكلية عندما دق الهاتف المحمول..

جاء صوت صديقتي الباكي عبر الهاتف:

-"هند.. إنها عمتي.. عمتي.. لقد ماتت.. د.(محمود الألفي) هنا في بيتها وهو مصر على أن تأتي.. لا أعرف السبب"

طلبت منها أن تهدأ.. انتظرت ثانية حتى تذكرت أن هذا هو اسم الطبيب النفسي الذي قابلته من قبل.ما دوري في الموضوع؟.. على كل حال لم يكن هناك مفر من أن أستقل سيارة أجرة وأسرع إلى العنوان

الذي ذكرته لي..

هناك كان الزحام شنيعًا.. الغريب أن هناك الكثير من رجال الشرطة ورجال البحث الجنائي، وقد دخلت الشقة بصعوبة.استطعت أن أرى أن غرفة النوم مفتوحة وأن هناك جثة على الفراش مغطاة بملاءة.. وكان هناك رجل يبكي في حرارة..

فجأة شعرت بتلك اليد الحازمة تمسك بيدي.. نظرت له في دهشة فوجدت د.(محمود) هذا يبتسم مهدئًا ويقول وهو يقتادني إلى جانب:

-"لا تنسي أن الفقيدة قريبتي.. الفكرة هنا أنها انتحرت.. نعم.. ابتلعت زجاجة كاملة من الحبوب المنومة ثم رقدت على فراشها بينما زوجها وأولادها في العمل والمدارس.. عندما عاد وجدها ميتة، وجوارها ورقة كتب عليها (سامحوني).. يقول زوجها إنها كانت مصابة باكتئاب مزمن "

-"مسكينة"

-"ليس الأمر كذلك...أنا أعرف الشخصيات التي يمكن أن تقدم على الانتحار.. الفقيدة ليست منها.. كانت متدينة متفائلة، لهذا لا

أبتلع هذه القصة.. أريد أن تقومي بجولة في الشقة وتفكري بعمق.. أعتقد أن موهبتك قادرة على التقاط شيء.. خمني يا هند.. خمني"

ثم تبادل كلمات مع أحد الضباط الواقفين فهز رأسه.. هكذا سمحوا لي بدخول غرفة النوم.. كانت قدماي ترتجفان لكني برغم هذا لمست الفراش ولمست الملاءة الموضوعة فوق الجثة.هناك كوب فارغ جوارها وعلبة دواء.. كدت ألمسهما لكن أحد الرجال صاح في عصبية أن اللمس ممنوع من أجل البصمات.. تشممت الجو...كدت ألمس الورقة جوار الفراش التي كتب عليها (سامحوني).

الحزن.. اليأس.. لا يوجد.. لا يوجد.. فقط أشم الخديعة.. الخيانة..

خرجت من الغرفة وسط الزحام واتجهت إلى الزوج الباكي.. مددت يدي إليه وهمست ببعض كلمات العزاء فنظر لعيني وارتجف..

عدت للدكتور (محمود) وقلت له وأنا أرتجف:

-"نعم.. نعم.. شعرت به عندما لمسته.. الزوجة تصحو من النوم شاعرة بصداع عنيف.. تبعث أولادها للمدرسة ثم تعود للفراش.. يتجه الزوج إلى المطبخ ويتخذ قراره بسرعة البرق.. يعد لها كوبًا من عصير

البرتقال ويفرغ فيه علبة كاملة من المهدئ.. يعـود لهـا ويلاطفهـا ويقـدم لهـا العصير.. تشرب.. بعد دقائق تروح في غيبوبـة.يـضع جوارهـا علبـة الدواء الفارغة ويحرص على أن يطبـق كفهـا عليهـا لتتغطـي ببـصماتها، ويضع جوارها المذكرة.ثم يغادر الشقة ذاهبًا للعمـل.. يعـود ظهـرًا لـيملأ الدنيا صراخًا.. إنه يمثل جيدًا.. "

قال باسمًا:

-"هو يقوم بتحويل عاطفة إلى أخرى.. عاطفة الخـوف يحولـهـا إلى عاطفة الحزن واللوعة.. كل ممثل بارع يعرف هذه الطريقة.. أنا واثق ممـا رأيته أنت تمامًا.. أعرف أن هذا ما حدث فعلاً"

-"هل ستخبر الشرطة به؟"

-"الشرطة لا تقبل أدلة قائمة على الحدس كهذه.. نحـن نعـرف الحقيقة لكننا لا نقدر على إثباتـها.. "

اتجهت في تؤدة إلى سلة المهملات الموجودة في الصالة.. عبثت فيها ثم أخرجت ورقة مطوية وفردتها ببطء، وقلت له:

-"هل ترى؟"

كان المكتوب على الورقة الممزقة هو (لم أتمكن من طهـي الغـداء

لأنني ذاهبة لأختي....).. طبعًا يسهل أن نعرف الكلمة التي كتبت بخط كبير أسفل الصفحة والتي مزقها الزوج لتكون رسالة بخط زوجته.. (سامحوني)...طبعًا واضح أن آثار التمزق تتطابق في الورقتين...الزوجة كتبت العبارة منذ أيام لأفراد أسرتها كنوع من المزاح غير عالمة أنها ستكون رسالة انتحارها...

لكن هل هذا دليل كاف؟..

وفجأة صحت وقد خطرت لي فكرة لا بأس بها:

ـ"من يتعاطى المهدئ؟"

ـ"يقول زوجها أنه يتعاطاه.. "

ـ"حسن.. هذا دواء الزوج إذن.. سوف يفحص رجال الشرطة البصمات على العلبة ولن يجدوا بصمات الزوجة إلا خارجها.. بمعنى أنهم لن يجدوها على شريط الدواء الفارغ بالداخل.السبب أن الزوج جعل كف زوجته تطبق على العلبة المغلقة لكنه لم يجعلها تلمس الشريط.. فكيف يمكن لها أن تفرغ الأقراص من دون أن تمس الشريط الذي يحتويها؟.. أعتقد أن هذا دليل كاف.. "

نظر لي للحظة وشاعت على قسماته علامات امتنان.. ثم قال:

-"وبالطبع بصمات الزوج ستكون على كل شيء..."

ثم رأيته يتجه إلى أحد الضباط الواقفين، فيقول له:

-"لو تسمح لي بكلمة.. هذا ليس انتحارًا.. ويمكنني أن أبـرهن على ما أقول.. "

لم أسمع باقي المحادثة لكن بوسعي تخيل ما قيل.



عنوان الحقيقة

علاء رقيق ومهذب.له عينان صبوران صامتتان تقدران حاجتك أو ضيقك وتفهمان.

إنه شفاف صموت وقد أحاطني برعايته منذ دخلت الكلية، لكني لم أسمح لمشاعري بأن تنمو تجاهه.. لست واثقة من أنه يحبني فعلاً..

لكنك تعرف موهبتي التي اختصني الله بها، والتي لو امتلكتها فتيات كثيرات لانتهت مشاكلهن.. فقط هي لا تأتي في كل وقت.. لا تأتي عندما أريدها.. ليتني أعرف ذلك المفتاح السحري في روحي الذي أضغط عليه فأمتلك الاستبصار والتخاطر.

حدث هذا بطريق الصدفة والسبب أنه أحمق.. أنا متحفظة بطبعي لهذا لم أسمح له بأن يلمسني قط.. كل علاقتنا كانت هي

الوقوف والكلام بصوت خفيض مع تلامس النظرات من حين لآخر، لكننا في ذلك اليوم جلسنا على السور المجاور لحوض الأزهار وقد وضع كل منا كشكول محاضراته جواره، وكان الوقت عصرًا ولم يكن هناك أحد..

في حركة أرادها أن تبدو عفوية مد أنامله وأمسك بأناملي واعتصرها بقوة. التأثير كان قويًا لأنني أجفلت، وفي اللحظة ذاتها رأيت نفسي بعين الخيال في صورة مزرية مشينة..

انتزعت يدي مجفلة وقد فهمت.. ما رأيته هو ما يدور في ذهنه الآن!.. إنها موهبة قراءة العواطف telempathy تفصح عن نفسها..

يقول الغربيون إن الجنتلمان هو مجرد ذئب صبور.. يبدو أن هذا التعريف ينطبق على علاء أكثر من أي شخص آخر.لقد كان يفكر.. لا يفكر في المستقبل ولا الرومانسية ولا الزهرة الجافة بين صفحات كتاب.. كان يفكر في شيء واحد..

هكذا نهضت غاضبة وابتعدت..

نهض لاحقًا بي وقد ظن أنني غضبى لأنه أمسك بيدي.. الواقع أن هذا صحيح، لكن الأسباب أقوى مما يظن..

هل من المريح أن تملك القدرة على رؤية الناس عراة؟...هذا يشعرك بأنه ما من مكان آمن وما من شخص نقي.. من الأفضل أحيانًا ألا ترى كل شيء.. أن الضوء الساطع يؤلم العينين حقًا وبعض العمى قد يكون صحيًا..

في الأيام التالية اتصل بي علاء كثيرًا، وفي الكلية كان يحاول أن يكلمني لكني تمسكت بالبقاء وسط صديقاتي، وهذا ما لم يفهمه..

لم يفهم أحد سبب انهيار علاقتنا السريع، ولكن هذه أشياء لا تُحكى..

هكذا مرت الأيام وعدت إلى الدراسة كما أردت لنفسي..

لا يعرف أبي وأمي شيئًا عن موهبتي تلك.. ربما لاحظت أمي أشياء معينة، لكنها دومًا تفترض أنني ذكية أو أريبة لا أكثر..

كنت عائدة لبيتي في ذلك اليوم، فاستعددت لتناول الغداء عندما دق جرس الهاتف..

هذه (نجلاء) صديقتي الحميمة.. تتحدث في لهجة مقلقة توحي بأنها لا تعرف كيف تبدأ.. ثم قالت في النهاية:

-"هل وصلتك رسائل معينة على شبكة الإنترنت؟.. رسائل

تخصك؟"

قلت لها ضاحكة إنني لا أفهم بالضبط..

-"إذن سأرسل لك عينة من هذه الخطابات.. أرجو أن تهدئي لنفكر فيما يجب عمله"

لم أفهم.. وفتحت جهاز الكمبيوتر متوجسة وانتظرت بعض الوقت حتى ظهرت الأيقونة التي تخبرني بوصول خطاب جديد.

فتحت الخطاب فسقطت على مقعدي بعد ما تخلت قدماي عني..

هذه أنا.. هذه الصورة لي.. هذا التعبير على الوجه كان في حفل للكلية، وهذه الصورة لدى عدد كبير من أصدقائي وصديقاتي لأننا كنا نحو عشرة في الكادر..

فقط قام وغد ما.. خنزير ما.. قام بقص الوجه ولصقه بطريقة (الفوتومونتاج) على صور مشينة أخذها من أحقر مواقع البورنو على الشبكة.رفعت عيني بسرعة لأرى اسم المرسل الأصلي للخطاب فوجدته يحمل اسم (عنوان الحقيقة).. هذا الوغد..

هناك نحو عشر صور.. واضح أن من لفقها أحمق، لأن هذه

الأجساد لموديلات محترفات كاملات الأنوثة بينما أنا نحيلة بشكل لا يصدق.. لن يصدق أحد أن هذه الصور لي.. هذا أكيد.. لكن هذا لا يمنع من كونه تشهيرًا علنيًا يثير الرعب..

قائمة الذين أرسلت لهم هذه الصور لا تقل عن العشرين معظمهم من صديقاتي وزملاء الكلية..

من فعل هذا جعل حياتي مستحيلة.. لا شيء يتلاشى على شبكة الإنترنت ولا يمكن ملاحقة شيء.. سوف تظل هذه الصور تبرز من مكان ما وتخرج من العدم إلى الأبد..

لقد قتلني..

انفجرت باكية...

وفي لحظة الانفعال هذه وسط الدموع ورجفة الغيظ والعار خمنت بوضوح من فعل هذا.. (علاء) طبعًا.. (علاء) الرقيق الحالم.. فعل ما يفعله الرجال مرهفو الحس: ترفضه الفتاة فيعاملها كما ينبغي للجنتلمان.يشهر بها ويدمر شرفها...

لم يكن اتهامي لـ (علاء) بسبب ذكائي الشديد، ولكن لأنني تخيلته لربع ثانية جالسًا أمام شاشة الكمبيوتر في مقهى إنترنت

منعزل، وهو يدس قرصًا مدمجًا حمله معه في الجهاز.. ينظر حوله ثم يبدأ في إرسال هذه الفضيحة إلى مجموعة عناوين..

لا تنهاري يا فتاة.. يجب أن تنتقمي.. يجب أن يعرف الناس من فعل هذا..

هكذا نسخت الصور بيد ترتجف على قرص صلب، ثم ناديت أمي..

كانت لحظات قاسية وأنا أحكي لها كل شيء وهي تضرب صدرها بيدها.. لا تصدق.. لم ترد أن ترى صورة واحدة، لكنها ارتدت ثيابها حالاً وسرعان ما كنا نتوجه إلى شرطة الآداب..

الضابط الذي أصغى لكلامنا قال إن القصة شهيرة جدًا وتحدث مرات لا حصر لها..

قال لنا:

ـ"الأمر سهل جدًا.. لو كان مرسل الخطابات يرسلها من داره ومن حسابه البريدي فقد انتهى أمره.. لو كان يستعمل مقهى إنترنت فالأمر صعب نوعًا.. نحتاج إلى وقت.."

بالطبع سوف يكتشفون في الأيام القادمة أنه افتتح حسابا بريديًا

جديدًا، وأنه يرسل كل شيء من مقهى إنترنت.. هم قادرون على تحديد مقهى الإنترنت، لكنهم سوف يكتشفون أن المقهى لا يحتفظ بسجل دقيق لأسماء مرتاديه ولا عناوينهم.. لو كان الرجل يرسل الخطابات بانتظام بحيث يمكن مراقبة المقهى لكان الأمر سهلاً، لكن مرسل الخطابات فعلها مرة واكتفى.. أطلق قذيفته وتركها تنفجر ولم يعد يتردد على المقهى..

هناك حيلة أخرى تنجح دومًا هي أن أرد عليه وأطلب لقاءه.. معظم هؤلاء يعميهم الإغراء عن واجب الحذر، وهناك في مكان اللقاء ينقض عليه رجال الشرطة.. لكني جربت هذه الحيلة ولم تجد شيئًا.. لم يرد...

يمكن أن أعطيهم اسم (علاء) وأتركهم يفتشون جهاز الكمبيوتر الخاص به، لكن ماذا لو كنت مخطئة؟.. سوف تلتصق به التهمة حتى لو كان بريئًا منها.. أنت تعرف كيف تولد الإشاعات في مجتمعنا.قل لصاحبك إن (سمير) لم يتحرش بزميلته في العمل.. سوف يسألك في دهشة: هل هناك من قال شيئًا كهذا؟.هنا ترد في حكمة: أنا أنفي عنه التهمة ولا أثبتها.بعد قليل يردد الناس القصة، فلا تبقى في ذاكرتهم سوى

بقايا مبهمة عن أن (سمير) تحرش بزميلته في العمل لكنه ينكر هذا.دعك من التظاهر بالغموض ومعرفة بواطن الأمور.. نحن نعرف أكثر لكننا نفضل عدم أكل لحم أخينا ميتًا..

نعم.ما لم أجد الدليل فلسوف أصمت..

أخذت إجازة من الكلية لعدة أيام.. لا أتصور أن أعود للكلية فيتخيل كل من يراني تلك الصور..

ولا أعرف كيف ولا متى حملتني قدماي إلى عيادة د.(محمود الألفي) الطبيب النفسي الذي كان أول من أخبرني بموهبتي.هناك في عيادته بكيت كثيرًا جدًا وهو لا يفهم ما حدث.. ثم ناولته قرصًا مدمجًا عليه تلك الصور اللعينة.. الغريب إنني أخجل منها كأنها صوري فعلاً لكني كنت أشعر أن هذا الرجل جزء من ذاتي، ويمكن أن يعرف كل شيء.. دعك من أنه طبيب طبعًا..

راح يفحص الصور على شاشة الكمبيوتر، وسرني أن أي تعبير لم يبد على وجهه كأنه يقرأ عناوين صحف اليوم، ثم قال:

-"تلفيق ساذج يدل على موهبة ضحلة.. هذا شاب في سنك غالبًا من نوع منطو ذكي وحذر، وهو كذلك من الطراز السايكوباتي الذي لا

يبالي بعواقب ما يفعل.. ابحثي عن الشخص الذي لديه صورة تظهر وجهك في هذا الوضع.. "

ـ"للأسف هناك كثيرون.. كان هذا حفلاً للكلية ومن الممكن أن تكون هذه الصورة عند عشرين شخصًا على الأقل.. "

قال في خبث:

ـ"لكنك كونت فكرة عن الفاعل طبعًا.. أنت لم تفقدي حاستك بعد"

قلت في استسلام:

ـ"اسمه (علاء).. كان يحبني ثم شعرت بأنه لا يحمل نحوي مشاعر نظيفة لذا ابتعدت عنه.. كل شيء يقول لي إنه الفاعل لكن لا براهين.."

ـ"هذه هي المشكلة.. ولا تريدين أن تبلغي الشرطة عنه خشية أن تكوني مخطئة.. مع أنه على الأرجح يحتفظ بأصول هذه الصور على جهازه لأنه قطعًا قام بتلفيق الصور وحده في بيته"

ـ"أنت لخصت الأمر.. "

جلسنا نضع الخطة الوحيدة الممكنة..

بما أنه – علاء – يحمل هذا القدر من الرغبة في، فالدكتور (محمود) يرى أن علي أن أراسل (عنوان الحقيقة) هذا.. لقد فشلت مرة، لكن لابد من أجرب ثانية.. كتب لي العبارات التي يعتقد أن ملفق الصور سوف يضعف أمامها.. فهمه لشخصيته كطبيب نفسي جعله ينتقي عبارات معينة.. لن يقاوم.. سوف تحددين له مكان وساعة اللقاء وتبلغين الشرطة..

-"ومن أدراك أنه سيفتح بريده الألكتروني من جديد؟.. ربما أنشأه لغرض واحد وقد فرغ منه؟"

-"سيعود.. طبيعة هؤلاء النفسية تحتم أن يعود لبريده الألكتروني ليرى ردود فعل من وصلتهم هذه الصور.. لن تكتمل لذته المحرمة إلا بهذه الخطوة.. "

هكذا جلست وكتبت ردًا على (عنوان الحقيقة).. قلت إنني قد صدمت عندما رأيت هذه الصور، لكني بعد قليل وجدت أنها تثير خيالي وأرغب في أن أقابل هذا العبقري الذي جعلني أرى نفسي في عالم لم أتصوره من قبل.. كتبت الرد على جهاز د.(محمود) وأرسلته..

قال لي د.(محمود):

ـ"لو كنت محقًا سوف يصلك الرد خلال أيام، وعليك أن تطلبي منــه اللقـاء في مكـان وزمـان معيـنين.. لـو وافـق تطـبعين الخطابـات وتسلمينها لشرطة الآداب أو مباحث الإنترنت.. "

هكذا ظللت أنتظر.. أنتظر..

ما جاءني بعد يومين لم تكن رسالة، ولكن كان اتصالاً هاتفيًا من شرطة الآداب.. قالوا لي إنهم قبضوا على مرسل الخطابـات.. لقد قـرر أن يجرب حظه ويرسل خطابًا من بيته هذه المرة، ولم يـدر الأحمـق أن هذا جعل اقتفاء الرسائل سهلاً.. لقد سـلم أحـد أصـدقائي الـذين تلقـوا الخطاب نسخة للشرطة، وهكذا وجدوا مزود الإنترنت، وتتبعوا أرقـام الهاتف عنده حتى وجدوا المرسل....

ـ"ليست لدينا شكوك.. لا يقيم في هـذا العنـوان سـوى شخـصين واحدة منهما أم عجوز لم تسمع عن الكمبيوتر أصلاً"

وفي فخر فتح الـضابط البـاب الجـانبي لمكتبـه ليكـشف لــي عـن الفاعل.. هنا رأيت (نجلاء) صديقتي!

كانت جالسة تعتصر منديلها دامعة العينين، فلما رأتني قالـت في توحش:

ـ"كنت أمقتك طيلة حياتي.. أمقت تفوقك الدراسي وتظاهرك بالاحترام والوقار والأصل الطيب!.. وفي النهاية تطلبين من (عنوان الحقيقة) اللقاء لأن الصور أثارت خيالك.. كنت أعرف أنك مخادعة كبيرة!"

الأرض تغوص من تحت قدمي.. أعتقد أنني فقدت الوعي فعلاً..

وعندما أفقت عرفت أن موهبتي خدعتني هذه المرة..

كما قلت لك: ليتني أعرف ذلك المفتاح السحري في روحي الذي أضغط عليه فأمتلك الاستبصار والتخاطر.. موهبتي حصان متمرد ومن الخطر أن أثق فيه أكثر من اللازم..





فيما بعد أمكنني أن أرسم الصورة العامة لما حدث..

الليل والبرد وبداية أمطار.. هذا مناخ فريد من نوعه لأننا لسنا في سيبريا، لكن هذه هي الليلة التي اختارها (شاكر) كي يقصد قريته..

بدأ المطر ينهمر على زجاج السيارة، فراحت المساحات تعمل.. وكان قد أغلق الزجاج فتحولت العربة إلى مهد دافئ مريح يدوي فيه صوت أم كلثوم العذب، وهي تغني (هذه ليلتي).. لابد أن هذا الأمر يذكره بدفء الرحم لأنه يشعر بأمان غريب..

السيارة دافئة، لكن شيئًا من القلق ينتابك لأنك تخشى أن يحدث شيء.. شيء يرغمك على الترجل والنزول للبرد والظلام بالخارج..

من الممكن أن يبطئ أكثر، لكن هذا يطيل لحظات التوتر والملل، بينما

الإسراع ينهي الأمر بسرعة.. سوف يرى القرية وسوف يوقف السيارة أمام بيت أسرته ويترجل، وفي الداخل سوف تعانقه أمه وتسأل عن أحواله وتقول إنه فقد الكثير من الوزن لأنه يعيش حياة مبعثرة في القاهرة.. سوف تعد له عشاء دسمًا ولكنها لن تتركه ينام في سلام حتى الفجر..

الطريق ضيقة متعرجة.. أشجار على الجانبين وتلك الترعة اللعينة التي تتدلى فيها غصون الشجر.. من السهل أن تنزلق فيها لو لم تكن تحفظ الطريق عن ظهر قلب..

كشاف السيارة يبدو كأنه يخلق طريقًا جديدًا في كل لحظة.. كلما شعرت بأن الطريق انتهت عند هذا الحد، فتحت لك الكشافات آفاقًا أخرى..

أم كلثوم والدفء وصوت المحرك..

وفجأة..

لم تتبين من أين جاءت ولا متى عبرت الطريق لكنك رأيتها أمامك في لحظة واحدة.. لم تكن تنظر للطريق بل كانت تعبره في إصرار، ولم يكن هناك وقت لأي شيء لأنك لو دست الكوابح لانقلبت السيارة..

هكذا تم الاصطدام.. قويًا كان.. صوت المعدن وهو يسحق العظام

ثم تلاشت المرأة تحت السيارة..

واستمررت أنت بتأثير القصور الذاتي.. نحو خمسين مترًا حتى تمكنت أخيرًا من أن توقف كتلة الموت المندفعة، وكانت كل عضلة في جسدك تنتفض..

لابد أنك ظللت خلف المقود عشر دقائق كاملة ترتجف.. تستعيد المشهد المروع القاسي.. لابد أنك ظللت تحملق في زجاج السيارة الذي تمسحه الماسحتان في بلاهة. لابد أنك بعد قليل بدأت تدرك أبعاد الموقف..

أنت ضربت امرأة.. غالبًا فلاحة أرسلها حظها التعس في هذه اللحظة بالذات.. الاحتمال الأكبر أنها ماتت على الفور.. لا يمكن أن تكون حية..

كنت تعرف ما سوف يجلبه هذا على رأسك.. إنها ليست من القرية بل من عزبة قريبة على حدودها، لكن أهل هذه المنطقة يتصرفون كالصعايدة ويؤمنون بالثأر.. لو أنك أبلغت الشرطة لوقعت في مشاكل لا حصر لها وكذا أهلك، ولو دخلت القرية في هذه الساعة فلسوف تتناثر حولك علامات الاستفهام.. ربما سيارتك هي السيارة الوحيدة التي مشت على هذا الطريق منذ الظهيرة.. لن تكون هناك شكوك كثيرة..

إذن.. الحل الوحيد هو أن تعود أدراجك للمدينة.. لن تكون هناك قرية اليوم..

درت بصعوبة في مكانك.. وبدأت الرحلة الصعبة عائدًا.. سوف تتصل بأهلك وتخبرهم أنك عدلت عن المجيء بسبب سوء الأحوال الجوية..

تمر بالبقعة التي شهدت الحادث.. لا ترى شيئًا سوى كومة سوداء على جانب الطريق.. تحاول ألا تنظر وتزيد سرعة السيارة أكثر..

سوف تكون الفترة القادمة فترة كوابيس لا شك فيها، لكنك على الأقل لن تكون في السجن..

ما حدث بعد هذا هو أن د.(محمود الألفي) الطبيب النفسي الشهير قد تلقى مع استيقاظه مكالمة من أقاربه في قريته، تخبره أن قريبة له تدعى (زكية) قد توفيت في حادث مروع..

-"من فعل ذلك؟"

-"سيارة دهمتها على الطريق ليلاً والسائق قد فر.. تعال حالاً.."

سوف تكون هناك مشاكل مع النيابة والفلاحون لا يعنيهم القبض على الفاعل قدر ما يعنيهم أن يدفنوا الجثة سريعًا.. هذه أمور مهمة جدًا عندهم.. هم بحاجة إلى د.(محمود) بما له من علاقات..

وضع السماعة وفكر طويلاً حتى أشرقت الشمس تمامًا، ثم رفع السماعة من جديد وطلب رقمًا صار يحفظه جيدًا.. رقم بيتي..

-"هند.. أنا بحاجة إليك.. هل يمكنك أن تأتي معي إلى قريتي صباح اليوم؟"

فكرت قليلاً.. سيكون من العسير أن اقنع أمي بأن أتغيب عن الكلية وأن أذهب مع رجل غريب إلى قريته، ثم خطر لي أن صديقتي التي هي قريبة د.محمود يمكن أن ترافقني في كل خطوة..

هكذا لم يمر وقت طويل إلا وكنت معه في سيارته متجهين إلى القرية..

كانت سيارة إسعاف هناك وقد وضعوا فيها الجثة، وكان هناك رجال شرطة ومحقق من النيابة.. ثم هناك زحام من الأهالي الذين وجدوا الجثة.قدم لهم نفسه ثم طلب مني أن أمشي معه إلى عربة الإسعاف حيث كانت الجثة مغطاة بملاءة ملوثة بالدم.. قال لي في رفق:

-"أعرف أن هذا قاس.. لكن عليك أن تلمسي الجثة.. أريد معرفة ما يخطر لك.. "

ثم مصمص بشفتيه وقال:

-"زكية كانت أرملة رائعة الجمال.. كثيرون كانوا يخطبون ودها ومن القسوة أن تنتهي بهذا الشكل"

مددت يدًا مترددة ولمست يد المتوفاة، ثم استرددتها بسرعة في جزع.. فقال لي:

-"حاولي أن تمشي في المكان وأن تطلقي موهبتك من عقالها.. "

كان هناك فلاح غليظ الشفتين يلبس جلبابًا أزرق ويدعونه (مأمون) يدلي بأقواله لوكيل النيابة:

-"لم أرها إلا مع الفجر يا سيدي.. خرجت للصلاة فخيل لي أنني أرى شيئًا على الأسفلت.. لم أدر أنها زكية إلا عندما دنوت أكثر.. "

دنوت من د.(محمود) وقلت همسًا:

-"أمطار.. أم كلثوم.. سيارة زرقاء.. أرى أنها سيارة زرقاء.."

بدا عليه الاهتمام وهمس بدوره:

ـ"لا ترفعي صوتك وإلا حسبونا مخابيل.. ماذا تقولين؟"

ـ"سيارة زرقاء من هذا الاتجاه.. السائق توقف ثم دار من جديد عائدًا.. "

بدا عليه الاهتمام.. وقال:

ـ"كان ذاهبًا للقرية ثم حدث الحادث.. هكذا عاد أدراجه.. هذا مهم.. وما هو موديل السيارة؟"

قلت في غباء:

ـ"لا أعرف.. لا أعرف موديلات السيارات!.."

ـ"والأرقام؟"

ـ"لم أرها.. ولا أراها.. "

بدت عليه خيبة الأمل، وقال في غيظ دفين:

ـ"هذا لن يقود لشيء.. هناك في مصر ملايين السيارات الزرقاء.."

قلت في جدية:

ـ"سيارة زرقاء كانت متجهة للقرية ليلاً.. هذا واحد من أبنائها

إذن.. يسهل ان نجده.. دعك من أن هناك أثر ارتطام لا شـك فيـه علـى مقدمة السيارة.. "

فكر قليلاً ثم قال:

-"هذا منطقي.. المهم أن أقنع رجال الشرطة بهذه النظريـة.. "

هنا اقترب منا الفلاح الذي يحمل اسم (مأمون) ليصافح الدكتور فهو يعرفه.. ولثمه على خده معزيًا.. هنا شعرت بتقزز غريب.. كدت اصرخ رعبًا..

دنوت من الدكتور لما صار وحده وهمست في أذنـه:

-"مأمون هذا.. أنا أخشاه وأكرهه.. إنه الفاعل!"

نظر لي غير مصدق ثم قال:

-"هنا نخرج مـن دائـرة الاستبـصار إلى دائـرة الهـلاوس.. أنـت تعرفين جيدًا أن هذا حادث سيارة.. مأمون هذا لم ير سيارة في حياته.. هل تتوقعين أنه كان يقود السيارة؟"

-"لا أدري.. أنا أخشاه كثيرًا.. يجب أن يعتقلوه!"

راح يفكر قليلاً ثم بدا عليه شيء من الاقتناع وقال:

-"في الواقع لا أجد فكرتك سخيفة إلى هذا الحد.. "

ثم نظر إلى مأمون وقال بصوت عال:

ـ"هل رأيت زكية ليلة أمس يا مأمون؟"

نظر له مأمون في دهشة وهز رأسه نافيًا.. فعاد الدكتور يقول:

ـ"المرأة عبرت الطريق غير مبالية.. لم تلق نظرة قبل أن تعبر.. كان همها أن تفر.. فما السبب؟.. ما الذي كان يخيفها إلى هذا الحد؟"

هتف مأمون في استنكار:

ـ"وكيف لي أن أعرف؟"

ـ"هذه الأرملة الحسناء كانت تتعرض لتحرشات كثيرة.. من الممكن أن نتصور أن أحدهم طاردها وكانت مذعورة إلى درجة أنها لم تنظر قبل أن تعبر الطريق.. "

هنا صاح أحد الفلاحين الواقفين:

ـ"هذا صحيح!.. أنت كنت متجهًا لدارها أمس يا مأمون.. وعندما رأيتني تظاهرت بأنك تقصد جهة أخرى!"

نظر رجال الشرطة إلى مأمون.. لم يعترف بشيء لكن وجهه كان يقول كل شيء.. هذا الرجل سوف ينهار سريعًا جدًا، وتبادل

د.(محمود) حديثًا هامسًا مع وكيل النيابة ثم دعاني وصديقتي إلى ركوب السيارة..

-"شكرًا يا هند.. سوف يكون هناك وقت كاف لتلحقي بالكلية لو أردت.. سأوصلكما ثم أعود لأن على كاهلي طنًا من الأعمال"

وهكذا عدنا..

فقط في السابعة مساء اتصل بي.. كان صوته يفيض بالامتنان والشكر وقال لي:

-"لقد ضيقت الدائرة كثيرًا.. سيارة زرقاء يملكها أحد أبناء القرية.. أخيرًا تذكروا (شاكر أبو مندور).. مهندس من القاهرة لديه سيارة فيات زرقاء، وكان هذا موعده الأسبوعي لزيارة أهله.. لكنه لم يقم بالزيارة تلك الليلة. وجده رجال الشرطة في القاهرة ووجدوا سيارته وقد تحطم الرفرف الأمامي تمامًا مع تهشم كشافين.. لقد أوقعنا بالقاتل ومن أدى إلى القتل.. إنني أكرر شكري لك.. لكنني أطلب منك خدمة واحدة"

-"ما هي؟"

-"أن تحاولي معرفة أنواع السيارات!.. نحن لا نعرف متى نحتاج لهذه المعرفة في القضية القادمة!"

رائحة ما

عندما اتصل بي د.(محمود الألفي) في ذلك اليوم في الثامنة صباحًا، شعرت بغيظ شديد.لن أظل طوال حياتي ألعب دور الكلب البوليسي، كما إن هذا يشعرني بأنني مخلوق شاذ Freak ..

السبب الأهم لغيظي كان أن أهلي لا يعرفون سبب هذه الاتصالات المتكررة.. إنه يحرجني بحق، ولو قلت لهم إنه يريد أن أشم رائحة لص من أجل رجال الشرطة لاندهشوا جدًا.. من قال إن أنفي حساس لهذا الحد؟

لقد سئمت هذا.. أريد أن أعيش حياتي كفتاة طبيعية.. فتاة تمتلك بعض الذكاء وبعض الغباء، تمتلك بعض الحكمة وبعض التفاهة، بعض الجمال وبعض القبح.. لا أريد أن أعيش حياتي كمخبر خارق القدرات.

على كل حال رفعت السماعة متضايقة من هـذه المكالمـة المبكـرة.
نحن في الصيف ومن حقي أن أنام حتى العاشرة أو ما هو أسوأ..

قال لي بصوت حار:

-"كيف حالك يا هند؟"

قلت في فتور:

-"هم م م.. "

قال بلهجة ملحة لا تقبل الاعتذار:

-"سوف يتصل بك ضابط شرطة يـدعى النقيـب (سمـير البنـا)..
قلت له إنني لابد أن أتـصل بـك أولاً كـي لا يـصيبك الـذعر لـدى تلقـي مكالمته.. "

هنا قلت في غيظ:

-"دكتور.. كنت متضايقة بما يكفـي لأنـك تعـرف سـري، والآن صار رجال الشرطة يعرفون الموضوع بشكل رسمي كذلك.. هذا معنـاه أن تـصير حيـاتي جحيمًـا.. لـن يتـأخر الوقـت حتـى أظهـر في القنـوات الفضائية حيث يطلبون مني تخمين عدد قطع العملـة في جيـب المطربـة الفلانيـة.. "

صمت قليلاً كأنه أدرك الخطأ الذي ارتكبه، ثم قال:

ـ"هند.. تعرفين إن موهبتك حقيقية وإننا استطعنا ضبط حالات بالغة الأهمية بفضلك.هذا يعني أنك قادرة فعلاً على تقديم نفع للمجتمع، وأنت تبخلين به لمجرد أنك سئمت.. "

هكذا وضعت السماعة شاعرة ببعض الخجل من نفسي.. وجلست جوار الهاتف.

دق الجرس فرفعت السماعة بسرعة لأجد من يخبرني إنه النقيب (سمير البنا) وإنه يعرفني جيدًا من صديقه د.(محمود الألفي)..

ـ"لا أعرف مدى صحة ما أقوم به، لكن لو ألقيت لنا شعاع ضوء على القضية فلربما.. أنت تعرفين أن المرء قد يجرب كل شيء والغريق يتعلق بالقشة.. "

كان صريحًا وقد راق لي هذا.. هو يعترف منذ البداية بأنه يشعر ببعض السخف في هذا الذي يقوم به، لكنه مضطر..

بدأ يحكي لي المشكلة هاتفيًا:

ـ"(محمد بسيوني) صراف لدى إحدى الشركات الحكومية،

وهو في الثلاثين من عمره ويمر بأزمة مالية طاحنة.دعك من أنه مستجد في هذا العمل"

هنا أوقفته عن الكلام وقلت:

ـ"إذن أنت أصدرت الحكم قبل أن نبدأ.. صراف في أزمة طاحنة.. انتهت القصة!"

قال في ضيق:

ـ"لابد أن تعرفي كل شيء.. ليس من الأمانة أن أغفل هذه النقطة.. ما علينا.. في اليوم الثلاثين من مايو دخل إلى المصرف في العاشرة صباحًا، وقام بسحب مبلغ يقترب من نصف مليون جنيه وهو رواتب الموظفين لهذا الشهر.ثم غادر المصرف حاملاً حقيبة عملاقة.."

ـ"من دون حراسة؟"

ـ"أنت تعرفين أن الأمور غالبًا تتم بهذه الطريقة في مصر.. وغالبًا لا يحدث شيء.. الشركات الخاصة تتفق مع شركة حراسة لكننا نتكلم عن شركة حكومية هنا.

"المهم أن الرجل استوقف سيارة أجرة.. من عادته عندما يغادر المصرف أن يوقف ثاني أو ثالث سيارة على سبيل الحذر، وبالطبع لا

يركب أية سيارة يبدي صاحبها حماسًا بل يختار سيارات الأجرة التي لا تبدو مهتمة بالبحث عن زبائن.. يفضل أن يكون السائق عجوزًا بادي المرض.هذا كل شيء.. "

ـ"ماذا تعني بـ (كل شيء)؟"

ـ"لا يذكر ما حدث.. يقول إنه إذ ابتعد عن المصرف شم رائحة غريبة، ثم غاب عن الوعي.. عندما أفاق كان هذا بعد عشر ساعات في مخزن مهجور في سوق خضر مجاورة للمصرف، وكان مقيدًا بالحبال ومكممًا.. لم تكن الحقيبة موجودة وقد استطاع الزحف حتى غادر المكان ليجده بعض الصبية العاملين مع التجار.فكوا قيوده وأبلغوا الشرطة.. "

ـ"القصة واضحة فما المشكلة؟"

ـ"كل هذا!.. لا نستطيع البرهنة على أنه كاذب، لكن القصة مليئة بالثغرات كقطعة جبن.. هل قابل بالصدفة سائق سيارة أجرة يحمل معه مادة منومة، وقرر هذا السائق أن يجرب حظه؟.. لا توجد مادة منومة تعمل بالشم بهذه القوة.. هذه خرافة شائعة، وماذا عن الفتية الذين أنقذوه الذين قالوا إن قيوده كانت رخوة تمامًا وكان بوسعه

فكها؟.. كيف تستطيع حمل رجل فاقد الوعي وسط سوق الخضار المزدحم صباحًا لتلقي به في مخزن؟.. لماذا لم يجد الطب الشرعي أية آثار لمخدر في دمه؟"

-"هل هذا دليل كاف على أنه لم يخدر؟"

-"لا.. بعض المخدرات تكون قصيرة الأجل في الدم.. هناك عشر ساعات كاملة على كل حال.. "

-"وما هو المطلوب مني؟"

-"أن تقابلي هذا الرجل وتعطينا أفكارًا.. سوف تصلك سيارة شرطة خلال نصف ساعة كي.."

صحت في ذعر:

-"لا.. من فضلك.. لا سيارات شرطة وإلا ماتت أمي ذعرًا.. سوف آتي أنا لكم خلال ساعة.. لا تقلق"

هكذا سرعان ما وجدت نفسي أستقل سيارة أجرة – وأنا اكتم أنفاسي كي لا يخدرني أحد – قاصدة العنوان الذي اعطاه لي..

كان المقدم (سمير البنا) شابًا مهمومًا متعكر المزاج أمامه عدة أقداح من القهوة، ومن الواضح أنه مدخن ثقيل.. رآني فنظر لي في

فضول وقال:

ـ"أنت أصغر سنًا مما توقعت.."

قلت في شيء من التوتر:

ـ"طالبة في كلية التجارة لا يمكن أن تكون في الخمسين من العمر"

ابتسم في إرهاق، وطلب من أحد رجال الشرطة ان يأتي بالصراف (محمد بسيوني)..

مرت لحظات طويلة وأنا أرشف الليمون الذي جلبوه لي، ثم ظهر رجل في الثلاثين من عمره.. رجل نحيل يبدو أنه يقضي أسوأ أوقاته.. ثمة صلع مبكر مع بعض الشيب.. أعتقد أنه شيء وراثي فلا يمكن أن يكون قد شاب في هذه الفترة القصيرة..

طلب منه الضابط أن يجلس أمامي، فمددت له يدي مصافحة فصافحها بارتباك..

بريء!..

بريء!.. هذا ما شعرت به منذ اللمسة الأولى.. لم يعد لدي شك في هذا، لكن كيف أبرهن على ذلك؟.. الأمر لا يتجاوز ذلك الشعور

الأنثوي على غرار: والله العظيم بريء!.. وهذا شيء لن تقبل به أية محكمة طبعًا..

ما سبب هذا الشعور الغريب الذي ينتابني؟.. كتفه اليسرى من الخلف؟.. لماذا أفكر في كتفه اليسرى من الخلف؟..

كان الضابط يراقب ملامحي دون أن يرفع عينه، ثم بدأ محادثة عابرة مع الصراف.. بالطبع لم يوجه له أي اتهام، لكنه كان يعرف أن موقفه بالغ الحرج. لما انتهى من المحادثة سمح له بأن ينتظر بعض الوقت، ثم استدار نحوي سائلاً:

ـ"ما رأيك؟"

ـ"أشعر أنه بريء.."

قال في عدم رضا:

ـ"توقعت أن تقولي العكس، وأردت أن تخبريني بتفاصيل أكثر.. مثل: أين ذهب المال؟.. لابد أن هناك شريكًا قام بتقييده بهذا الشكل الصوري فمن هو؟.. أعتقد أن الطريقة الوحيدة التي يمكن بها دخول مخزن سوق الخضر هو أن تدخليه على قدميك. رجلان يمشيان معًا يدخلان ثم يخرج واحد بعد أن قيد زميله. لا أتصور أن يدخله

رجال يحملون رجلاً مقيدًا مكممًا.. "

قلت في إصرار:

-"أنت طلبت انطباعي.."

-"وانطباعك هذا وليد موهبتك أم هو انطباع أنثوي عام وليد الرقة؟.."

-"أعتقد أن موهبتي هي التي تكلمت.."

نهض معي إلى حيث مجموعة من الملفات التي تحوي صورًا ووجوهًا لذوي السوابق، وطلب مني أن أتفقدها بحثًا عن شيء يثير اهتمامي.. هكذا رحت أقلب الصور.. وجوه مرعبة تحمل قدرًا هائلاً من الشر.. لا شك في هذا.. كنت اشعر به وأرتجف..

ثم توقفت أمام وجه.. رجل أسمر له وجه صلب وشارب شرس.. قرأت الاسم المكتوب: (صلاح أبو هرجة) وشهرته (كولونيا).. هذا الوجه له أهمية خاصة.. انا متأكدة من هذا يقينًا.. هذا الرجل مهم..

نظرت في تساؤل إلى النقيب، فأمسك بالملف مهتمًا وقال:

-"(صلاح أبو هرجة).. (كولونيا).. مسجل خطر وقد قام بأكثر من

سطو مسلح، وسبب اسم الشهرة هو أنه مولـع بـالعطور الرخيـصة ويغـرق نفسه بها.. طبعًا يستعمل أرخـص وألعـن الأنـواع مما يجعـل لـه رائحـة عطرية مقززة.. هو نموذج ممتاز لكن هـذا لـيس كافيًـا للاشـتباه بـه.. لم يذكر احد حرفًا عنه"

قلت في حماس:

ـ"هل له علاقة بسيارة أجرة؟.. هل له علاقة بسوق الخـضار؟.. هل ظهر عليه ثراء مفاجئ؟"

نظر لي للحظات، وبدا مهتمًا، هنا قلت:

ـ"هل يمكن أن تستدعي هذا الصراف مرة أخرى؟"

طلب من رجل الشرطة أن يسمح للصراف بالدخول، فهمست له:

ـ"دعه ينزع سترته ويكشف عن كتفه اليسرى"

نظر لي في عدم فهم، ثم قال للصراف أن ينزع سترته..

في تـردد وحـرج نـزع الرجـل سـترته وهـو يـشعر بـالكثير مـن الحرج، خاصة أن فانلته الداخلية كانت مهلهلة تمامًا.. رجل في غايـة الفقر يتحايل ليخفي حقيقته.

دنوت من كتف الرجـل مـن خلـف في حـذر، وأشـرت إلى ثقـب

صغير أحمر في حجم النقطة التي في نهاية هذا السطر.. وسألت:

ـ"ما هذا الثقب الصغير؟"

قال الصراف في غباء:

ـ"ثقب؟.. أي ثقب؟"

نظر النقيب إلى الثقب بدوره وقال في عدم فهم:

ـ"ماذا؟.. ربما بعوضة أو شيء مماثل؟"

قلت في حماس:

ـ"هذا موضع دخول الإبرة التي حقنته بالمخدر بمجرد أن جلس في سيارة الأجرة.. هناك من توارى في المقعد الخلفي ثم برز ليغرس الإبرة في كتفه. نعم لا يوجد مخدر يُشم ويسمح باختطاف شخص، لكن المخدرات التي تحقن تسمح بهذا وأكثر.. لقد تم الأمر بسرعة حتى أنه غاب عن الوعي قبل أن يعرف أنه حُقن، لكنه شم تلك الرائحة الغريبة لحظة فقدان الرشد.. لم تكن سوى رائحة من اعتدى عليه.. (أبو هرجة) أو (كولونيا).."

قال النقيب في دهشة:

ـ"ولماذا ربطوه بقيود سهلة الفك؟"

-"لأنه كان مخدرًا ولم يبد ذا خطر.. أما عن دخوله إلى مخزن سوق الخضار فالأمر سهل.. لقد وضعوه في صندوق خشبي وحملوه أمام العيون.. "

قال النقيب وهو يرفع سماعة الهاتف:

-"سوف نحضر كولونيا.. ولو كانت في كلامك ذرة من الحقيقة فلسوف نعرف سريعًا.. أما الآن فإنني أشكرك وسوف أعهد بسيارة تعيدك لدارك.. أعني تعيدك لأقرب مكان من دارك"

هكذا عدت لداري..

انتظرت كثيرًا جدًا تلك المكالمة، وفي الثامنة مساء جاءت..

كان النقيب في غاية السرور.. قال لي:

-"منذ اقترب كولونيا من مكتبي حتى أجفل الصراف وقد تذكر الرائحة القوية.. هذه هي الرائحة التي شمها عند ركوب سيارة الأجرة.حاول كولونيا أن ينكر ثم انهار عندما تذكر بعض العاملين في سوق الخضار وجهه ورائحته.كان له قريب في المصرف أخبره برحلة الصراف الشهرية، وأخبره بعادات الصراف الحذرة.. هكذا اتفق مع

سائق أجرة مسن قريب له أن يقوم معه بهذه العملية.. ويتأكد من أنه لا توجد بيانات عن سيارة الأجرة يراها الراكب.عندما يظهر الصراف على باب المصرف مع حقيبته، تدنو منه سيارة الأجرة وينزل منها زبون.. هذا يقنع الصراف أن توقف السيارة عارض، دعك من وجه السائق المسن الطيب.. هكذا يركب.. وعلى الفور يبرز (كولونيا) من الخلف ليدس المحقن في كتفه، ويقوم الرجلان بنقله إلى مكان قريب حيث يقومان بتقييده ووضعه في صندوق خشبي.. كولونيا ذكي جدًا لذا حرص على أن تكون القيود رخوة لا تقنع أحدًا.ثم يحمل كولونيا والرجل الثالث الصندوق على سيارة نصف نقل إلى مخزن الخضار القريب ويتخلصان منه هناك.. طبعًا اكتملت القصة بعلامات ثراء واضحة لاحظها الجميع على (كولونيا) مؤخرًا "

قلت في فرحة:

ـ"الصراف بريء كما قلت.. هذا البائس لا يستحق تهمة السرقة لتضاف لتعاسته"

ـ"أشكرك على حل القضية.. توقعي مني مكالمات أخرى كثيرة.. يجب أن اذكرك كذلك بأنك محظوظة لأنك لا تشمين رائحة عطر

كولونيا المخيمة على مكتبي.. سوف نحتاج إلى شهر للتخلص منها، لكننا مدينون لها بالكثير!"



أنا قلقة

أنا قلقة..

تقول لي أمي إنني غير طبيعية وإنني لن أتغير أبدًا..

أنهض.. أدخل الشرفة وأقف هناك أنظر إلى الليل الذي بدأ يرخي سدوله.. العباءة الزرقاء التي تصير سوداء بعد قليل، وأشعر بذلك التقلص في أحشائي.. يخبرني بكل وضوح:

إنني قلقة..

أدخل المطبخ.. أخرج علبة الجبن من الثلاجة، وأفتح رغيفًا بالسكين وأعد لنفسي شطيرة أزخرفها ببعض شرائح الخيار.. أرفع الشطيرة لفمي لكن شفتي تأبيان أن تنفتحا.. لو انفتحتا لما انزلق الطعام لبلعومي...يمكنني أن أتخيل كل تفاصيل عملية البلع الفسيولوجية، وأعرف أنها مستحيلة لأنني قلقة..

هكذا تجد الشطيرة طريقها لتوضع على رف الثلاجـة في طبـق.. سوف تلتهمها أختي على كل حال.. هي تأكل أي شـيء تجـده أمامهـا في أية لحظة في أي مكان..

لقد خرج أخي الصغير منذ ساعة ليزور أحد أصدقائه.عمليًا هـو لم يتأخر، لكنني قلقة.. أشعر بذلك التوتر الغريب يجتاح أعصابي..

في النهاية رفعت سماعة الهاتف وطلبت صديقه.. هـل (رامـي) عندكم؟

يقول صديقه في دهشة:

ـ"لم يأت بعد.."

أضع سماعة الهاتف.. كنت أعرف أن هذا سيحدث.. ثمة شـيء ما خطأ..

تقول أمي:

ـ" ساعة واحدة.. الأمر لا يدعو لهذا القلق.. الصبية هم آخر من يعرف معنى المواعيد أو يفهم قلق الكبار.. ليست هذه المرة الأولى.."

أوشك أن أقول لها: لكنهـا المـرة الأولى الـتي أشـعر فيهـا بهـذا التوتر بصدده..

أنا قلقة..

أخرج للشرفة حيث صار الليل ليلاً مكتمل الأركان، وأرقب مصابيح الشارع والمارة.. كلما رأيت صبيًا في الشارع وثب قلبي في فمي.. لو كنت أملك حدسًا خاصًا فأنا لا أملك بصر زرقاء اليمامة ولا أستطيع معرفة القادم من على هذا البعد..

عدت لغرفته واتجهت إلى المنامة التي نزعها وألقاها إلقاء على الفراش.. مددت يدي وتحسستها وأغمضت عيني..

خطر داهم!.. (رامي) في خطر داهم!.. حاستي تعمل بقوة.. لكن ما هو نوع الخطر؟

أعود لغرفة الجلوس حيث تجلس أمي وأختي غير مهتمتين تتابعان التلفزيون.. هما غير قلقتين على الإطلاق.. سوف يعود (رامي) بعد ساعة أو ساعتين ويتلقى الكثير من التوبيخ.. يا ليتني أملك بساطتهما وسذاجتهما!.. يا ليتني فتاة عادية..

جلست إلى جهاز الهاتف واتصلت بعدة أرقام من أرقام أصدقائه.. لا.. لم يره أحد هذه الليلة.. طلبت عدة مستشفيات في حينا.. هل وصلهم صبي جريح منذ ساعة؟.. هل وصلهم صبي ميت؟..

قال الجميع: لا..

أين أنت يا رامي؟.. ماذا تفعل؟...

رفعت سماعة الهاتف من جديد وطلبت النقيب (سمير البنا) الذي صار صديقي منذ زمن، وقد علمته التجارب أن يرد على مكالماتي في أي وقت.قال لي في دهشة:

-"(هند).. لم أعتد أن تبادري أنت بطلبي.. نحن نقع في كارثة ونطلب رأيك وليس العكس.."

قلت بصوت مخنوق بالبكاء:

-"(رامي) أخي.. إنه في ورطة.. أعرف هذا.. خرج ولم يعد.."

-"منذ متى؟"

-"منذ ساعتين؟"

ساد صمت طويل.. ثم قال في ارتباك:

-"ساعتين؟.. هل تتصورين أن أية جهة في العالم يمكن أن تبحث عن شخص تغيب منذ ساعتين؟.. ليس بوسعك طلب رأينا قبل مرور أربع وعشرين ساعة.. "

قلت في عصبية:

ـ"ليس وأنا أشعر بهذا الشعور اليقيني بأنه في خطر"

من جديد قال في ارتباك:

ـ"سوف أريحك.. يمكنني الاتصال بالمستشفيات بشكل غير رسمي و..."

ـ"أنا فعلت ذلك.. الخطر الذي يتعرض له لا علاقة له بالحوادث ولا الموت.. "

ساد الصمت ثم قال لي:

ـ"بصراحة لا أعرف كيف أساعدك في وقت مبكر كهذا.. على كل حال سأرد على مكالمتك في أي وقت فلا تترددي في طلب العون.."

وضعت السماعة مدركة يقينًا أن المشكلة مشكلتي.. لو أراد أن أنتظر الفترة القانونية فمن الوارد أن يجد نفسه أمام جثة صبي..

هكذا هرعت إلى غرفة رامي، ومن جديد رحت أتحسس ثيابه الملقاة هنا وهناك، ثم بحثت عن صورته.. وضعتها أمامي ورحت أحدق فيها.. هلم يا حاستي!.. لو لم تظهري الآن فلا نفع لك.. لربما فكرت في التخلص منك جديًا كما يفعل الغربيون بمرضى الوساوس.. الجراحة النفسية..

فجأة بدأت أرى وجهًا.. هذا رجل أسمر البشرة له ملامح شرسة وعين تالفة.. توارى الوجه وسط الضباب.. أسمع خرير ماء.. هناك ظلام.. هناك فأر يجري.. أشعر بالذعر والتوتر.. أنا خائفة.. إذن رامي خائف جدًا.. رامي لا يستطيع تحريك يديه.. هناك حبل..

تحسست رأسي..

يجب أن أركز أكثر.. هناك لافتة تقول (صالة الأبرياء).. نعم.. أراها.. تتلاشى ثم تعود..

رفعت سماعة الهاتف من جديد وطلبت النقيب (سمير).. جاءني صوته متململاً لأنه من الواضح أنني مجنونة وسوف أحيل حياته جحيمًا.. قلت له في لهفة:

-"رامي مخطوف.. إنه سجين في قبو مغمور بالمياه.. مقيد بالحبال وهو مذعور جدًا..."

-"آه!"

قالها في عدم تصديق طبعًا فعدت أقول:

-"هو جوار مكان يدعى (صالة الأبرياء).. أنا متأكدة"

قال على الفور:

-"لا يمكن ان يوجد مكان في العالم يدعى (صالة الأبرياء).. حتى في المحكمة.. هذه هلوسة.."

بالفعل.. هذا اسم سخيف جدًا.. لكني قرأته..

هنا قال:

-"أعتقد أنك ترين هذه الأشياء مضطربة.. لحظة.. هل كان ما قرأته هو (صالون الأمراء)؟.. ربما كان الأمر كذلك لكن الإرسال الروحي كان مشوشًا "

قلت في لهفة:

-"نعم.. يمكن أن يكون كذلك.."

-"سوف أجري بعض الاتصالات وأعود لك"

جلست جوار الهاتف ألتهم أظفاري.. الآن بدأت أمي وأختي تتساءلان عن سبب تأخر (رامي)، الأمر الذي لم يحسن الأمر كثيرًا.. صار للقلق طول وعرض وارتفاع.. صار ماديًا..

جاء الهاتف من جديد لأثب مترًا في الهواء وأرفع السماعة:

-"هند.. هناك حلاق بهذا الاسم فعلاً في الشارع المجاور لك.. هناك أمين شرطة يقف أمام بنايتكم الآن. يمكنك الذهاب معه هناك.."

شكرته في لهفة، وارتديت ثيابي ثم هرعت أثب الدرجات إلى الشارع، لأجد ذلك الشرطي الأسمر قوي البنية طيب الملامح يقف هناك وهو يحمل جهاز اللاسلكي بانتظاري. مشيت معه إلى الشارع المجاور حيث رأيت اللافتة (صالون الأمراء)..

وماذا بعد؟.. هل يكون هذا مجرد تداع من عقلي الباطن؟.. من الوارد أنني رأيت اللافتة مئات المرات من قبل ولم ألحظها لكنها خرجت لوعيي الآن..

أمين الشرطة كذلك راح ينظر لي متسائلاً عن خطوتي التالية..

جاء الجواب بصورة غير متوقعة..

من الزقاق المجاور للبقالة رأيت ذلك الرجل يخرج جاريًا والرعب على وجهه.. هذا رجل أسمر البشرة له ملامح شرسة وعين تالفة..

صرخت في أمين الشرطة:

-"هذا هو!.. اقبض عليه!"

لم ينتظر الرجل ليفهم بل انطلق يركض في الشارع ومن خلفه

انطلق أمين الشرطة.. خرج الناس من محلاتهم يراقبون غير فاهمين..

صاح أمين الشرطة أن اقبضوا عليه، بينما الرجل يثب فوق صندوق موضوع أمام أحد المحلات، هنا اصطدمت قدمه بالصندوق وطار في الهواء ليسقط أرضًا..

هرع نحوه أمين الشرطة ووجه لوجهه ركلة ليطفئ حماسه، هنا تصايح أصحاب المحلات في غضب:

-"دعه!.. إنه أبله لا يدرك ما يفعله!"

عندما دنوت من الرجل فهمت.. إنه بالفعل متخلف عقليًا.. زائغ العينين واللعاب يسيل من فمه.. فقط راح يردد وهو يمسح الدم عن شفتيه:

-"حبل.. حبل.."

حبل؟.. أنا شعرت بحبل في الرؤيا التي رأيتها.. ماذا يوجد في ذلك الزقاق الذي خرج منه؟

هرعت ومعي الأمين إلى هناك، وكان الظلام دامسًا.. صاح أحدهم أن يجلبوا ضوءًا ومن عند بائع فاكهة برز (كلوب) مشتعل حمله أحدهم إلى الزقاق..

هناك عند أقدامنا كانت تلك البئر.. يبدو أن بعضهم كان يجري بعض الإصلاحات في بناية هنا وترك هذه البئر مفتوحة.. ومن داخل البئر سمعت صوت الأنين المميز.. صاح أحدهم أن ارفعوا (الكلوب) أكثر.. رقعة الضوء تتسع ونرى ما بداخل البئر.. إنه (رامي).. على عمق ثلاثة أمتار ينظر لنا بعينين دامعتين.. المكان ضيق جدًا فلا يقدر على تحريك ذراعيه إلا بصعوبة..

وجواره على الأرض ذلك الحبل..

تعاون الرجال على إخراجه فتعلق بعنقي يقبلني وقال وهو يرتجف:

-"سامحيني.. طاردت تلك القطة الصغيرة لكنها دخلت هنا، ولم أدر إلا وقدمي تنزلق لأسقط في حفرة مليئة بالماء والفئران!.. صرخت كثيرًا حتى سمعني رجل له عين تالفة.. لقد رمى لي حبلاً.."

هكذا فهمت..

محتضنة رامي حتى لا يضيع ثانية خرجت إلى ذلك البائس الذي جلس على الرصيف يتحسس شفته الدامية.. لقد حاول أن يساعد أخي لكن تفكيره المحدود لم يتح له سوى أن يلقي بحبل داخل الحفرة

ولم يثبته بشيء.. ويبدو أنه خرج من الزقاق ليطلب العون عندما وجد رجل شرطة يطارده فأصابه الذعر وجرى..

كان شكله مخيفًا وتعاونت فكرة الجب المظلم مع الحبل في تثبيت فكرة الخطف في ذهني.. أحيانًا تكون المعطيات صحيحة لكنها تقود لاستنتاجات خاطئة تمامًا..

ومددت يدي للبائس أساعده على النهوض، وفي يده دسست حفنة من المال.. ما وجدته معي.. صحيح أنه لم ينقذ أخي بشكل مباشر لكنه اقترب من ذلك كثيرًا..

وأنا لم أعد قلقة..

لقد شفيت

عرفت (عمر) في إحدى حفلات زفاف صديقاتي..

عامة أنا لا أطيق هذه الحفلات لأنني أشعر أنها مهرجان عام للادعاء. الفتيان يتظاهرون بالوسامة والظرف والفتيات يتظاهرن بالفتنة، وهدف الجنسين هو اقتناص عروس أو عريس.. لسبب ما يشعر الناس في الأفراح بالذعر لأن دورهم لم يأت بعد، ولهذا يتصرفون بجنون للفت الأنظار.. هناك فتيان يرقصان معًا للفت نظر البنات، وهناك فتاة تنهض متظاهرة بالخجل لترقص أمام العروسين مع أن أحدًا لم يجبرها على شيء..

هكذا أشعر بالغربة والانزعاج، وأبتعد.. ابتعد.. أبتعد.. لأجلس في ركن القاعة على مقعد مستند للحائط.الغربيون يسمون هذا النمط الذي يشعر بالوحدة في الحفلات باسم (زهرة الحائط). صحيح أن هناك من ستأتي لي حاملة طبقًا من (الجاتوه) أو مشروبًا غازيًا وتصيح

غير مصدقة:

-"هند!.. لماذا أنت هنا وحدك؟.. تعالي معنا!"

أو ذلك الفتى الذي يعتقد أنه رائع، سوف يهرع نحوي حاملاً طبقًا عليه شطيرة ويصيح:

-"آنسة هند.. يجب أن تذوقي شيئًا "

هذه المنغصات لا مفر منها، لكنهم في النهاية يقررون أنني مملة فعلاً وأن الجلوس معي معناه تضييع هذا الحفل الصاخب، من ثم يفر كل واحد منهم ليلحق بدوامة الصخب..

أريد الفرار لكن كيف ومتى؟.. لابد أن أجد باقي صديقاتي وسط هذا الزحام، لأن (مي) هي من ستوصلنا لبيوتنا في سيارتها والساعة قد تأخرت جدًا.. لابد أن أهنئ العروسين بنفسي.. معنى هذا أنني سجينة هنا حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً..

أختي (نرمين) تمر من أمامي فتضحك، ثم تغيب في الدوامة.. لا وقت عندها لهؤلاء المخابيل الذين يعتقدون أنهم حساسون، لكنني رأيتها في تلك اللحظة فاتنة بحق.. إنها جميلة فعلاً ولا أعرف كيف لم يخطر هذا ببالي من قبل؟

هنا وقعت عيني على (عمر) للمرة الأولى.كان جالسًا بدوره جوار الجدار وفي يده لفافة تبغ توشك على أن تنتهي.. وكان يرمق ما يدور في نوع من السخرية الصامتة الطريفة التي أعترف أنها راقت لي..

هنا شعرت بما يشعر به.. أنت تعرف أنني أملك هذه الموهبة، وإن كنت لا أستطيع التحكم فيها ولا تطيعني في كل وقت.. أعتقد أن اسمها Telempathy ولا تخلط بينها وبين الـ Telepathy من فضلك.. حرف m الزائد ليس غلطة مطبعية..

كان معجبًا بي.. شعرت بهذا بوضوح وإن لم أقدر على قراءة أفكاره.قراءة العواطف تختلف عن قراءة الأفكار.. قراءة الأفكار تجعلك تسمع في رأسك ما يفكر فيه الشخص، لكن قراءة العواطف تجعلك تشعر بما يشعر به.. حر.. برد.. ضيق.. ملل.. إعجاب..

كان معجبًا بي.. هذا واضح..

ثم بدأت أرى أفكاره، فرأيت نفسي هناك جالسة جوار الجدار كقط صغير.جميلة جدًا رقيقة جدًا.. لم اعرف من قبل أنني بهذه الروعة.. أعرف أنني رقيقة شفافة إلى حد الموت أحيانًا، لكن لم أرني فاتنة من قبل.. هنا فارق مهم.. أنا لست فاتنة لكنه يراني كذلك وأنا

أرى ما يراه.. ليس بالضرورة دقيقًا أو صحيحًا..

فجأة سمعت صوته يتردد في ذهني:

"تسمعين أفكاري.. أليس كذلك؟"

نظرت له في ذعر.. إذن هو الآخر........ ؟

عاد صوته يتردد من جديد:

"خمنت ذلك.. أنا وأنت نملك هذه القدرة.. كلانا يرى أفكار الآخر.. أليس كذلك؟"

وضحك فضحكت..

هكذا نهض متجهًا نحوي وجلس جواري على مقعد قريب، وقال وهو يعقد ذراعيه على صدره:

ـ"معذرة.. لم أمر بهذا الموقف سوى مرة واحدة في حياتي.. حسبت أنني لن أقابل أبدًا شخصًا يملك الإدراك الفائق للحواس.. إن هذا الطراز من البشر يميل للخصوصية وعدم الاستعراضية ، برغم أن كل إنسان في العالم تقريبًا يعتقد أنه شفاف ولديه قدرات خارقة.. كل امرأة عرفتها في حياتي تعتقد أنها تملك الحاسة السادسة، وكل رجل يقول (ليس بيني وبين السماء حجاب).. لكن الحقيقة هي أن أحدًا لا يملك أي شيء على

الإطلاق.. يسرني أن ألقى أول واحدة من هذا الطراز"

ثم استدرك فقال معتذرًا:

-"اسمي (عمر).. من المفترض أن أخمن اسمك لكني عاجز عن ذلك.."

-"هند.. لم أخمن أسمك أنا أيضًا.. لكني خمنت أنك تمارس عملاً له علاقة بالدم.."

-"أنا طبيب فعلاً.. لست مصاص دماء.. وأنت لك علاقة قوية بالأرقام.. ربما الجداول؟"

-"أنا طالبة في كلية تجارة.. كيف اكتسبت خبراتك؟"

-"حادث.. بقيت في سيارة تحت الماء لمدة ساعتين، وغبت عن الوعي.. مات أبي الذي كان يقود السيارة.. لما أخرجوني أدركت أن نقص الأكسجين نبه خلايا نائمة في ذهني.. فجأة صرت أمتلك الإدراك الفائق للحواس.. وأنت؟"

-"لا شيء.. ولدت بهذه الصورة، وأهلي لا يعرفون.. لو عرفوا فلن يصدقوا.."

كنت أفكر في جنون.. معنى هذا اننا نملك ذات القدرة.. نحن

طائران لنا ذات الشكل.. هل يعني هذا شيئًا أو يعني أننا لبعضنا؟.. الحب شعور غريب معقد، لكنه لا يولد لمجرد أن هناك تماثلاً يراه العقل ولا يراه القلب. لو وجدت واحدًا يشبهني فأنا لن اضغط على زر لأحبه.. الحب يأتي من دون دعوة ويرحل من دون أن يطرده أحد..

كان معجبًا بي بشدة، وقد حكى لي الكثير عن حاسة الـ Telempathy هذه.. كان مثقفاً وقد قال لي إن هذه الحاسة تكون مفيدة أحيانًا عندما نكون في خطر.. بعض من تم تهديده بمسدس أو سلاح نقلوا لمن يهددهم مشاعر الخوف والتوجس التي يشعرون بها، لدرجة أنه خفض السلاح وتركهم في سلام..

بعض الناس من مالكي هذه الحاسة يستطيعون أن يجعلوا الآخرين يشعرون بالاشمئزاز أو التعب أو الاكتئاب.. معنى هذا أنها سلاح خطر..

انتهى الحفل فافترقنا، لكننا تبادلنا رقمي الهاتف.. أعرف أن قدراته ليست مطلقة مثلي.. لا يوجد شخص قدراته مطلقة وإلا لصار أقوى رجل في العالم.. لهذا لا يستطيع أحدنا تخمين هاتف الآخر..

في اليوم التالي كنت قد تناولت طعام الغداء.. وجبة دسمة

ثقيلة، لكنني بعد نصف ساعة شعرت بجوع شديد.. لا أعرف السبب لأنني لم أكن نهمة من قبل هكذا..

أعددت لنفسي وجبة خفيفة أمام نظرات أمي المذهولة.. قالت لي:

ـ"حذار وإلا صرت عاجزة عن اجتياز باب الشقة.. "

ضحكت والتهمت الأرز في ثوان.. أشعر بأنني ممتلئة بشدة لكنني جائعة..

أختي تمر من أمامي.. هذه الفتاة تزداد جمالاً برغم أنها يجب أن تكون مرهقة بعد حفل أمس. قلت لها في خبث:

ـ"الهانم تزداد جمالاً.. يبدو أن الحفلات تجعلك رائعة.. "

قالت في خبث أكبر:

ـ"وأنت تجعلك الحفلات كالمصيبة!.. يكفي أن تحضري حفلي زفاف حتى تلفظي أنفاسك الأخيرة!"

هنا دق جرس الهاتف.. على الفور رأيته وشعرت به قبل أن أرفع السماعة.. غريب هذا!.. كل ما يمكن أن نصف به الحب موجود لكنه ليس حبًا.. إنه Telempathy يا سادة..

رفعت السماعة فجاء صوته الودود:

ـ"كيف حالك؟.. كيف حال شقيقتك؟"

ـ"كلنا بخير.. فقط أشعر بنعاس غريب.."

ـ"هذا مسل.. أنا أشعر بذات النعاس.. لقد انتهيت من تناول الغداء في عيادتي لكن لا أجد في نفسي رغبة في استكمال العمل"

تبادلنا بضع كلمات ووضعت السماعة..

نعاس.. غداء.. هنا فطنت إلى فكرة رهيبة: منذ قابلت هذا الرجل وعواطفي ليست هي عواطفي.. أنا مرآة لما يشعر هو به!.. هو كان جائعًا فشعرت بالجوع برغم أنني كنت قد غادرت المائدة حالاً.. أشعر بنعاس ولم أكن كذلك.. ترى هل كان الملل الذي شعرت به أمس شعوري أنا أم شعوره هو؟

منذ هذه اللحظة صارت حياتي جحيمًا.. أشعر بمغص فلا أدري إن كان هذا شعوري أنا أم أنا أشعر بما يشعر به (عمر)؟.. أشعر بظمأ فلا أعرف إن كنت ظمآنة أم عمر هو الظمآن؟..

سؤال أهم: لو كنت أنا مرآة لمشاعره، فكيف أعرف أنه معجب بي حقًا؟.. ربما كان هو كذلك مرآة لمشاعري، وكنت أنا معجبة بنفسي

لا أكثر!

أخبرته بهذه التفاصيل في مكالمة هاتفية، فقال لي ضاحكًا:

-"لا تكوني حمقاء.. هل ولد هذا الاتصال الروحي فجأة؟.. كنت أنا في العالم وكنت أنت في العالم ، فلماذا صرنا على اتصال فجأة؟"

-"لا أدري.. لكني متأكدة مما أقول.. "

ساد الصمت ثم قال لي بعد فترة:

-"على كل حال أعتقد أن الوقت قد حان لأتكلم بصراحة وكي أطلب ما أردت أن أطلبه في تلك الليلة، لولا أن اكتشفت أنني لست الوحيد الذي يملك تلك الحاسة"

توترت قلقًا وابتلعت ريقي.. سوف يقولها إذن..

قال بلهجة تقريرية:

-"أنا كما تعرفين طبيب من أسرة طيبة.. والدي متوف.. لا أكسب الكثير لكن وضعي في تحسن مستمر.. فقط ينقصني أن يكون لكفاحي هدف وقد وجدته.."

ازداد توتري.. أشعر به متوترًا بدوره.. يجب أن أتخذ قرارًا مصيريًا كهذا..

قال:

ـ"أسعدني أن ظفرت برقم الهاتف.. كل من يعرفك قال إنك حكيمة ذكية وإن علي أن اعتمد عليك، وأن أكلمك أنت قبل أن أكلم والدتك برغم سنك الصغيرة.. أضيف لهذا موهبتك التي لا شك فيها.."

قلت وأنا انظر للسقف:

ـ"ماذا تريد قوله؟"

قال وهو يضغط على كلماته:

ـ"شقيقتك الآنسة نرمين!.. إنها أكبر سنًا منك، لكنني شعرت بأن بوسعي الكلام معك عنها.. "

ـ"ماذا عنها؟"

ـ"ألم تفهمي بعد؟.. أنا أطلب يد شقيقتك الكبرى (نرمين)!"

شعرت بأنني على وشك السقوط أرضًا وتحاملت ليخرج صوتي طبيعيًا:

ـ"أنت تطلب يد (نرمين) مني أنا؟"

-"عندما جئت لحفل الزفاف كان هدفي أن أراها عن بعد.. أكون حكمي بصددها، ثم عرفت أنك أختها الصغرى وجمعت بيننا حكاية التخاطر تلك، لذا قررت أن أعتمد عليك لأنك أقرب لي وتفهمينني أكثر من أي واحد آخر!"

هكذا أفهم!

لماذا كنت أرى نرمين جميلة بهذا الشكل في الفترة الأخيرة؟.. لأنني أرى ما يراه هو!.. أما ما شعرت به من عاطفة نحو نفسي فالسبب بسيط.. لأنني فعلاً أحب نفسي!

يا لك من أحمق!.. يا لك من أحمق!.. لم أحبك لحظة، لكني أشعر في هذا شيئًا من الإهانة.. كنت أعتقد أنني لا أبالي بك، بينما كنت أنت الذي لا يبالي بي!

قلت له في برود:

-"من الغريب أن تطلب رأي أختها الصغرى التي ما زالت طالبة.. يمكنك أن تطلب موعدًا مع والدتي.. هذا يبدو أقرب للمنطق.. شكرًا لاتصالك.. "

ووضعت السماعة..

وفي هذه المرة لم أشعر بخيبة أمل أو حرج أو أي شيء..

الأيـام القادمـة سـوف تثبـت لـي أنـني تحـررت مـن تـأثيره الروحاني وأن عواطفي هي عواطفي فعلاً.. لابد أنني كنـت متعلقـة بـه بشكل ما حتى صرت مرآة لأحاسيسه.. اما الآن فقد شفيت..

نعم.. لقد شفيت!.

ما رأيك أنت؟

موسم الامتحانات..

في رأيي أن هذه العبارة ليست مضافًا ومضافًا إليه بل هي مبتدأ وخبر!.. جملة مفيدة كاملة قائمة بذاتها ولا تحتاج إلى إضافات.. لا تنس أنني طالبة في كلية التجارة..

موسم الامتحانات..

معنى هذا قدوم الربيع.. معنى هذا تغير حرارة الجو.. معنى هذا ظهور التوت ودودة القز ورائحة الحقول المحروثة وحبوب اللقاح في الجو.. معنى هذا التوتر والقلق والمغص المتكرر.. معنى هذا الاستذكار حتى الفجر، ثم النوم حتى الظهر والاستيقاظ مع شعور قاتل بالذنب..

عندما أسمع أغنية شادية (الشمس بانت من بعيد) وأغنية أم

كلثوم (الورد جميل) تتقلص أمعائي لأن هـذه أغـاني الامتحانـات كمـا أعرفها.غريب أن الامتحانات والربيع شيئان متلازمان..

كما تعرفون فإن موهبتي تتدخل أحيانًا، لكن هذا بلا موعـد ولا نسق محدد.. ولهذا السبب لم أشعر قط بالذنب باعتباري أعرف أسـئلة الامتحان قبل أن يبدأ.. هذا ليس بيدي على الإطلاق..

فجـأة أقلـب صـفحات الكتـاب، وفجـأة يـستقر ذلـك الـيقين في أحشائي أن هذه الصفحات مهمة وخطرة.. أحيانًا أرى ورقـة الامتحـان والأسئلة عليها.. من حين لآخر يتضح أنني كنت أخدع نفـسي وأنـه لا توجد علامة فارقة بين ما أراه بفضل الاستبصار وما ألفقه بخيـالي دون أن أعرف ذلك..

الخلاصة: أنا أستذكر كل شيء بجـد.. فـإن أرادت مـوهبتي أن تعمل فبها ورحبت، ومعنى هذا أنني سأدرس كـل شـيء لكـني سـأولى عناية خاصة للصفحات التي أشك فيها بالذات..

في يوم الامتحان يمكنك أن تعرف ما ينتظرنا..

الأولاد يكونون غير حليقي اللحى مبعثري الثياب عيونهم كلها إرهـاق وتعـب.. الفتيـات شـاحبات مرهقـات، وإن كـن ممـن يـضعن

المساحيق بكثرة فلا وقت لهذا اليوم.. لهذا تجدهن قبيحات أكثر من اللازم كما يحدث لصورة التلفزيون الملون عندما تصير أبيض وأسود..

الثياب غير مكوية.. لا وقت للكعوب العالية.. الأحذية كلها رياضية وعلى الأرض..

هأنذا أقف على باب اللجنة، وأعيد مراجعة المذكرة التي أحملها ثم أضعها على الكومة وسط كتب أخرى كثيرة تمزقت وبدا الإفراط في استعمالها واضحًا..

أجلس في مقعدي قبل البدء بنصف ساعة وأتلو المعوذتين وسورة الفيل. ثم..

فجأة أراه بوضوح تام.. السؤال الأول.. السؤال الثاني..

هذه هي الأسئلة.. لا داعي لأن أنهض لأراجعها لأنني أحفظها عن ظهر قلب. فقط ليت حاستي تصدق!..

تقترب مني (نرمين) صديقتي، وتقف بجواري باسمة، ثم تميل علي لتهمس:

-"السؤال الأول سيكون كذا.. السؤال الثاني سيكون عن كذا.. السؤال الثالث سيكون كذا.."

نظرت لها في دهشة.. هذا هو ما أفكر فيه بالضبط..

سألتها:

-"كيف عرفت؟"

قالت وهي تنظر حولها:

-"تسربت الأسئلة وهي مع غالبية الطلبة.فلا تضيعي الوقت.. لو كنت غير ملمة بهذه الأسئلة فلتسرعي.. إن في الوقت متسعًا.. "

وسرعان ما ابتعدت وهي تراجع وريقة في يدها..

جلست ساهمة بعض الوقت..

من الواضح طبعًا أنها تعرف الأسئلة فعلاً.. ما دمت أنا أعرفها بموهبتي فأنا أعرف أنها تعرف!.. في حالتي يتعلق الأمر باستبصار لا يعرف أحد أنني أملكه، لكن في حالتها الأمر يتعلق بتسرب أسئلة واضح..

ماذا أفعل؟.. السياسة الأحكم أن أظل صامتة.. سوف أجلب الصواعق على الجميع لو فعلت شيئًا، لكني في الوقت ذاته لن أقبل هذا القرار من نفسي بسهولة..

مالك أنت يا فتاة وهذا؟.. أنت عرفت الأسئلة تلقائيًا فلم

تريدين أن تحرمي الآخرين من الفرصة ذاتها؟.. الجواب بسيط هو أنني لم أسع لشيء ولم أبحث عن الغش، وإنما حاستي الغامضة هي من فعل هذا.. لم أخالف القانون بينما هم يخالفونه.. وأنا أعرف أكثر من أي واحد من هؤلاء أن الأسئلة صحيحة وأنها تسربت فعلاً..

مشكلة ضمير!..

ظللت أفكر بضع دقائق أخرى، ثم نهضت شاردة.لو تكلمت فأنا الواشية الخائنة.لو كنا في أحد أفلام السجون لدبّر المساجين لي حادثا مؤسفاً.. من الغريب أن قوانين الجماعة تصير لها الكلمة العليا ويصير المجرم هو من يخالفها.. عندما يرتب المساجين الهرب من السجن، فإن من يفشي السر خائن يستحق العقاب برغم أنه ينفذ القانون وواجبه كمواطن..

لا أعرف كيف وجدت نفسي أمام باب عملاق عليه لافتة تقول (العميد)..

دخلت في حذر.. فنظر لي السكرتير في ريبة:

ـ"أفندم؟"

قلت له بصوت مرتبك إنني أريد مقابلة العميد.. الأمر جلل

وعاجل.. لم تبق سوى دقائق يتم خلالها توزيع الأوراق وعندها لن أقدر على إثبات شيء..

كنت في حال سيئة، وهذا جعله يهرع إلى الداخل.. بعد دقيقة عاد لي، وسمح لي بالدخول..

كان العميد جالسًا على مكتبه ضخمًا مهيبًا كعهدي به.فقط كان يبتسم في رفق فشجعني هذا كثيرًا.. طلب مني الجلوس فجلست.. كان يعرفني لأنني من طالباته المتفوقات..

ـ"أليس هذا موعد امتحانك يا هند؟"

أخرجت ورقة وبيد مرتجفة كتبت عليها بعض النقاط وناولتها له، وقلت:

ـ"سيدي.. هذه هي أسئلة المادة التي ستوزع أوراق امتحانها بعد دقائق!"

تبدل وجهه تمامًا ونهض في توتر وانتزع الورقة من يدي وقرأ الأسئلة، ثم نظر لي في حزم وقال:

ـ"من قال هذا الكلام الفارغ؟"

ـ"كل الطلبة معهم هذه الأسئلة.. لو كنت تشك في كلامي يا

سيدي فلك أن تتحقق.."

اتجه إلى الخزانة المجاورة لمكتبه وفتحها، وأخرج مظروفًا مغلقًا.. كان أستاذ المادة يترك عينة من الامتحان في مكتب العميد قبل الامتحان في تلك الأيام.

قرأ الأسئلة ثم قارنها بما في الورقة وبدا عليه التوتر.. كنت أعرف هذا.. لو كنت مخطئة لكان موقفي في غاية السوء..

إلى الهاتف هرع فطلب ألا يتم توزيع الأسئلة ثم طلب أستاذ المادة في مكتبه، وكان على وجهه ما يدل على خطورة الموقف.. ثم طلب بالهاتف رقمًا آخر.. طلب استاذًا آخر للمادة..

عندما جاء الأستاذ الأخير طلب منه العميد أن يعد امتحانًا سريعًا للطلبة ويكتبه هنا أمامه، ثم يقوم بتصويره وتوزيعه على اللجنة..

جاء أستاذ المادة الأول مسرعًا وكان ما سمعه صادمًا.. لقد تسربت الأسئلة أي إنه المتهم الأول بهذا..

ـ"من قال هذا؟"

أشار العميد لي وقال:

-"هند عرفت هذا وكان من مصلحتها أن تظل صامتة لكن ضميرها انتصر لحسن حظنا.. ما ذكرته هي متطابق تمامًا مع أسئلتك. وعليك أن تفسر لي هذا "

كان الأمر قد انتهى بالنسبة لي منذ اللحظة الأولى.. هذا الأستاذ بريء.. لا يعرف أي شيء عن الموضوع.. لقد كتب الأسئلة وصورها وهو يحملها معه الآن عندما فوجئ بهذه الكارثة..

قال العميد:

-"أين قمت بنسخ أوراق الامتحان؟"

كان الأستاذ يجفف عرقه، وبدا موشكًا على فقدان الوعي.. نهض من دون أن يرد واتصل بالمطبعة طالبًا أن يحضروا من يدعى (محمود).. العميد يريده..

بعد دقائق جاء (محمود) هذا ممتقع الوجه شاحبًا.. كان رجلاً في الخمسين شديد البدانة محتقن الوجه، يمكنك أن تخمن أنه سيموت بنوبة قلبية أو نزف مخ في أية لحظة..

قال العميد للرجل:

-"أسئلة الامتحان تسربت.. ليس لدينا من نشك فيه سواكما..

أستاذ المادة أو من قام بنسخ الامتحان.. أحدكما فعل هذا وباع الأسئلة بثمن باهظ. لكن كان على من اشتروا الأسئلة أن يظلوا صامتين...للأسف هم تكلموا بداعي التفاخر أو عونًا لأصدقائهم.."

كنت أنا أراقب (محمود) في هذا الوقت.. وعرفت من جديد أنه بريء.. إنه مذعور تمامًا لكنه شريف.. كلاهما شريف.. فمن فعل ذلك؟

هتف (محمود) موشكًا على البكاء:

ـ"عملية التصوير استغرقت نصف ساعة يا سيدي، ولم أترك الأوراق لحظة.. عداد الآلة يمكن أن.."

ـ"أنت تعرف أن هناك نسخًا إضافية يتم تصويرها للاحتياط.. العدد لا يدل على شيء.."

هنا جاء دوري في الورطة، فقد قال لي العميد:

ـ"من الذي أعطاك الأسئلة يا هند؟"

ـ"صديقة لي في نفس الدفعة.."

ـ"من هي؟"

احمر وجهي.. أما هذا فلا.. لم يخطر ببالي أن أورط (نرمين)

في هذه القصة وهي التي كانت تتعامل بحسن نية.لكن العميد عاد يكرر:

ـ"من؟.. لابد من أن أعرف مصدرها.."

ـ"ربما من صديقة أخرى.."

ـ"سوف نسأل تلك الأخرى.. وأخرى وأخرى.. سوف ينتهي البحث عند طرف الخيط الآخر.. لو لم تتكلمي لاعتبرتك متورطة في هذه القصة!!"

كنت موشكة على البكاء، واحمر وجهي.. يبدو أني أخطأت فعلاً عندما أقدمت على هذه الخطوة مدفوعة بشجاعة ملحمية.. الأهم أن جميع الطلبة سيعرفون أنني تكلمت.. قانون السجون غير المكتوب.. المافيا يطلقون على هذا اسم (أومرتا) أي (مؤامرة الصمت).. الويل لأول من يفشي أسرارنا..

فجأة راح المنظر يتوالى في ذهني مرارًا كأنني موشكة على الإصابة بنوبة صرعية..

ورقة أسئلة فوق آلة مستندات.. ورقة أسئلة فوق آلة مستندات..

اسم يتردد بلا انقطاع (مصطفى بيومي).. (مصطفى بيومي)..

فجأة هتفت بلا سيطرة على صوتي:

ـ"مصطفى بيومي.."

نظر لي العميد في دهشة وقال:

ـ"أخذت الأسئلة من مصطفى بيومي؟"

كدت أقول إنني لا أعرف لكنني خشيت أن يظن بعقلي الظنون أو يحسبني أدعي البلاهة، هكذا لذت بالصمت.. لكن (محمود) الذي قام بالتصوير صاح:

ـ"مصطفى!.. غريب.. لكن بالفعل.. هذا ممكن!"

ـ"أي شيء ممكن؟"

اعترف (محمود) أنه كان يقوم بالتصوير وفجأة أصابه دوار غريب مع تسارع في ضربات القلب.. غادر الحجرة لبعض دقائق ليشم بعض الهواء النقي في الخارج. مصطفى بيومي كان يجلس على باب الغرفة وقتها.. إنه العامل الذي يحرس المكان بما فيه من أوراق مهمة.. بالفعل كان بوسعه أن يهرع للداخل ويسرق واحدة من النسخ الموجودة على آلة نسخ المستندات ثم يجلس في براءة بينما يعود محمود..

رفع العميد السماعة ليطلب أن يستدعوا له مصطفى بيومي هذا..

جاء بعد دقيقة بالضبط، ولم يحتج إلى أسئلة أو أي شيء لأنه انهار تمامًا عندما وجد الجميع ينظر له في حزم.. انفجر الدمع من عينيه والمخاط من أنفه وهو يقول:

-"سأعترف.. نعم.. سرقت نسخة من الأسئلة وبعتها بمائة جنيه لطالب اسمه (رامي عبد المنعم).. هذا هو كل ما فعلته.. أقسم بالله!"

كان قدومه نجدة لي لأن العميد نسى سؤالي عن صديقتي.. لقد وجد الخيط الذي يبحث عنه.. نظر لي وللمرة الأولى منذ ربع ساعة شاعت ابتسامة على وجهه الصارم وقال:

-"شكرًا يا هند.. لقد انتهت مهمتك هنا.."

ونظر إلى ساعته وهتف:

-"ربع ساعة من موعد الامتحان!.. سوف أعطيهم وقتًا إضافيًا.. ولكن عليك العودة للجنة الآن لأنهم سيوزعون الأسئلة حالاً.."

عدت إلى اللجنة شاعرة بخليط من الرضا عن النفس والارتباك و.. بعض الندم..

عندما تسلمت ورقة الأسئلة الجديدة التي تم إعدادها على

عجل، كدت أصرخ.. أسئلة عسيرة حقًا لم تساعدني موهبتي على تخمين شيء منها..

ربما لو ظللت صامتة لكان الوضع أفضل، لكنني كنت سألوم نفسي للأبد.. ما رأيك أنت؟

احترسوا من تلك السيارة

احترسوا من تلك السيارة..

سيارة حديثة هي زرقاء اللون من طراز (تويوتا).. على الزجاج ملصق خاص بأحد الأندية القاهرية الشهيرة.. هناك خدش عرضي طويل على الجانب الأيسر..

لو رأيت تلك السيارة فاحترس منها..

السائق يخفي عينيه خلف نظارة سوداء عملاقة ويلبس الأسود، مما يعطيه مظهرًا مفزعًا كأنه في فيلم سينمائي أمريكي.. يدخن بفظاعة.. لو رأيت هذا السائق فاحترس منه..

سوف يميل عليك وأنت تمشين على قدميك ويعرض أن يوصلك.. لو كنت فتاة محترمة رباها أهلها جيدًا فسوف تتذمرين وتجدين السير، أو تتظاهرين بأنك لا تسمعين، أو تدخلين أول محل تقابلينه،

أو تطلبين عون أحد المارة أو رجل شرطة تجدينه بالمصادفة..

لكنك لو كنت فتاة مغامرة تقتنص الفرص فسوف تركبين، وعندما تصيرين جواره سوف يطري جمالك وسوف يقول لك إن الوقت ما زال يسمح بجلسة في مكان هادئ مع كوبين من عصير الليمون..

لو كنت فتاة مغامرة تقتنص الفرص فسوف تقبلين..

وعندها...؟

للأسف لا أعرف.. تلك الرؤيا التي تلاحقني تنتهي دومًا عند هذا الجزء، كأنها نهاية حلقة بوليسية مثيرة.. علي أن أنتظر الحلقة القادمة لأعرف.. فقط هذه الحلقة التالية لا تُعرض أبدًا..

لكنني أرى الرؤيا وأشعر بالخطر طيلة الوقت.. أعرف أن شيئًا مروعًا سيحدث. النهاية معروفة وإن كنت لا أعرف ما هي..

احترسوا من تلك السيارة..

احترسوا من سائقها..

في تلك الأيام كانت تلك الرؤيا تطاردني بإصرار غريب، ولهذا نتيجة منطقية واحدة عندي: إنها حقيقية. أقلب صفحات الجريدة فأقرأ عن تلك الفتاة أو تلك التي (خرجت ولم تعد) مع رقم هاتف ووعد

بمكافأة سخية.. أتحسس الصورة.. أغمض عيني محاولة أن أرى شيئًا لكني لا أرى سوى السيارة الزرقاء..

عندما تتكرر الرؤيا فهي على الأرجح حقيقية لأن عقلي الباطن لن يخدعني هذا العدد من المرات. وهكذا أوصي أختي بأن تأخذ حذرها ولا تتوقف عندما تبطئ أية سيارة جوارها.. أوصي أخي وإن كنت لا أعتقد أن خطرًا ما يتهدده..

أمضي حياتي من البيت إلى الكلية ومن الكلية إلى البيت.. أصغي للمحاضرات وأحاول أن أكون طالبة مجدة..

عندما أخرج من الكلية مع صديقاتي أنظر لنهاية الشارع.. هذه السيارة زرقاء.. أليس كذلك؟.. هل ترينها يا (يمنى)؟.. وأنت يا (مها)؟..

-"ما هو طرازها؟"

تقول (نشوى) باسمة:

-"فورد.. ألن تعرفي موديلات السيارات أبدًا؟"

نقترب من السيارة فأرى السيدة في منتصف العمر خلف المقود وأهدأ قليلاً..

هذا المساء يختلف.أمي تقول لي إنه يختلف.. هناك ضيف قادم لنا.. أمي تقول إنه لا يريد الانتظار حتى يعود أبي من عمله في خليج السويس، لكن لابد أن ينتظر.. لن نعطيه كلمة.. سيكون خالك معنا، ولسوف نطلب مقابلة أخرى.لكن هذا لا يمنع من أن تتأنقي وتلبسي أفضل ما لديك..

أكره هذه اللقاءات التي تذكرني بشراء الماشية من السوق.. لقد كبر حمارهم وهم يريدون أن يزوجوه من حمارة مناسبة هي أنا.. هو رآني في الكلية كما يقول ورقت له جدًا.. محاسب هو لكنه في أعلى السلم في مصرف شهير.. إنه في الثلاثين وهذا يعني أن سنه مناسبة..

لا أريد.. لا أريد.. لكن خالي المهندس الشاب آت خصيصًا لذلك.. هكذا أسلم نفسي لأمي تعد ثيابي وتمشط شعري، وتتأكد من أن المساحيق بالكمية الكافية.. ليست كثيفة فأتهم بالتبرج وليست قليلة فأبدو شاحبة موشكة على الاحتضار كما أنا فعلاً..

الصالون على ما يرام.. أخي ابتاع العصائر وهذا يعني أننا سنقدم ثلاثة أنواع من المشروبات: شاي.. عصير مانجو.. مياه غازية.. وفي وسط اللقاء هناك الجاتوه..

في الثامنة مساء يدق الباب وأسمع الترحيب وخالي يقتاده ووالدته إلى الصالون. ثم اسمع أمي ترحب بهما.. ثم أجد أنني أحمل الصينية التي وضعت عليها أكواب العصير الثقيلة، وأنا أتقدم مطرقة للأرض كي أرحب بالضيفين ، بينما دخان التبغ من سجائر خالي تجعل الرؤية ضبابية وتحرق العيون..

-"هذه هي هند.."

أجلس بينما أمه تكرر (ما شاء الله).. أرفع عيني لأراه للمرة الأولى.. هذا الوجه يبدو مألوفاً..

يقول كلامًا فارغًا.. الكل يقول كلامًا فارغًا ولن يدلي أحد برأي قبل أن يعود أبي، لكن العريس متعجل لأنه سيسافر قريبًا ويريد ردًا مقنعًا.. يعني قراءة فاتحة وموافقة مبدئية، ولسوف يعود للخطبة عما قريب.. لكننا لا يمكن أن نقرأ الفاتحة وأبي مسافر..

تنتهي الجلسة المليئة بالود وينصرف الضيفان.. مهذبان رقيقان ويبدو أنهما من أسرة طيبة فعلاً..

تناديني أختي كدأب الأخوات كي نختلس النظر إلى الفتى وأمه من الشرفة.. نقف هناك متواريتين في الظلام خلف قطع الغسيل

المعلقة، ونتبادل همسات أنثوية مرحة..

يأتي خالي ليقف معنا.. نرى العريس وأمه يتقدمان نحو سيارة تقف أمام بيتنا ويفتح لها الباب الأيمن، ثم يدور ليجلس خلف عجلة القيادة.. سيارة زرقاء اللون..

يقول خالي وهو يضع ذراعًا على كتف كل واحدة منا:

-"(تويوتا) حديثة.. تشبه التي كانت عندي وبعتها.."

هنا تصلبت تحت ذراعه.. تويوتا زرقاء؟.. أنت مجنونة يا فتاة.. لا داعي للهستيريا.. إن حاستي تعمل لكن بطريقة غامضة.. لربما كانت هذه الرؤى تعني أن عريسًا بهذه المواصفات سيتقدم لي..

يقول خالي:

-"بصراحة.. عريس ممتاز.. أنا سأتصل بأبيك وأخبره بأن يقدم موعد إجازته.. أكره أن نضيع هذه الفرصة.. "

كل شيء جميل فيما عدا أن أحدًا لم يسألني عن رأيي.. كلهم قرروا ووافقوا وأعدوا بينما أنا التي ستعيش باقي حياتها مع هذا الرجل لم يسألوها عن رأيها.. لن أندهش لو قالوا لي غدًا إنني صرت زوجته.. المشكلة أن خالي متحمس له جدًا..

عند الظهيرة أغادر الكلية.. أمشي في الشارع الطويل المنحدر وحدي، وهنا أشعر بسيارة تمشي بقربي.. سيارة تويوتا زرقاء..

أنظر لراكبها فأجده (عريس الغفلة) هذا، لكن منظره تغير عن أمس.. نظارة سوداء تخفي أكثر وجهه.. إنه هو!.. لا شك في هذا ولهذا بدا لي مألوفًا أمس..

ـ"آنسة هند.. لو سمحت لي ببعض الكلام.."

قلت دون أن أنظر له:

ـ"كل شيء قيل أمس على ما أعتقد.."

ـ"لا.. ليس كل شيء.. أنت تعرفينني وأنا لست غريبًا اليوم.. أرجو أن تركبي.. "

قلت في غموض:

ـ" الوقت يسمح بجلسة في مكان هادئ مع كوبين من عصير الليمون.. أليس كذلك؟"

قال في غباء:

ـ"بلى.. طبعًا.. لكن لم أعرف أنك تحبين الليمون!"

كان يكمل عبارته عندما مرت سيارة الأجرة تلك أمامي

فاستوقفتها وسرعان ما وثبت إلى الداخل.. وابتعدت بينما العريس ما زال يكمل كلامه على الأرجح.. كنت غير مرتاحة له لأنه عريس صالونات ثم غدوت أكثر ريبة لأن سيارته تويوتا زرقاء.. الآن أنا مرتابة بالكامل لأنه يضع عوينات سوداء ولأنه يدعو الفتيات للركوب.

في اليوم التالي في الكلية تدنو مني صديقتي (يمنى).. تجذبني من ذراعي لتتكلم معي على انفراد.. (يمنى) فتاة بارعة الحسن يمكنها أن تلوي أعناق الرجال في كل مكان وتشعرهم بعدم الراحة.. أمامها ومعها يتحولون إلى أطفال.. لكن مشكلتها هي أنها تعرف كم هي حسناء، ولهذا تكره أن تفوت فرصة.. تجرب كل شيء.. تخاطر.. تتهور.. أملها أنها ستجد ما هو أفضل من زميلاتها جميعًا..

تقول لي (يمنى):

-"بصراحة.. رأيتك أمس تكلمين رجلاً في سيارة تويوتا زرقاء.. سررت لما رأيتك تركته وفررت.. لم تركبي معه.."

-"وهل سمعت من قبل أنني أركب سيارة رجل ليس زوجي ولا أبي ولا أخي ولا خالي؟"

-"لا.. لكنني ركبت هذه السيارة من قبل.. كان شابًا وسيمًا وقد

خطر لي أن ألهو قليلا، لكنه كان وقحا.. ما إن ركبت معه السيارة حتى تمادى من ثم فتحت الباب وجريت.. أعتقد أنه الشاب ذاته ومن الحكمة أن تبتعدي عنه نهائيًا "

كان هذا التحذير كافيًا.. إذن هو لا يذبح الفتيات ويتخلص من جثثهن، لكنه (يتمادى).. وهذا أسوأ في رأيي.. لا أذكر كم مرة أنقذتني حاستي تلك من ملائكة يخفون ذئابًا تحت جلودهم، لكني مدينة لها بقوة..

شكرت (يمنى) كثيرًا وواصلت متابعة دروس اليوم.. أعرف أنني سأتصل بخالي وأخبره ان ينسى الموضوع تمامًا.. لو أصر فلسوف أخبره بالحقيقة..

عند الظهيرة خرجت مع (يمنى) من الكلية.. كنا نمشي في ذلك الشارع الضيق عندما سمعت صوتًا مألوفًا يناديني.. لم تتوقف يمنى وواصلت السير..

نظرت لأجد خالي يجلس في تلك السيارة اللعينة التي يقودها (عريس الغفلة) وهو يطل من النافذة..

-"لقد جئنا كي نوصلك يا (هند).. هي فرصة كي نرحمك من

المواصلات.. أستاذ (كمال) تطوع مشكورًا، وهي فرصة ممتازة لتبادل الحديث.. هاتي صديقتك معك.."

إن هذا كثير جدًا.. فعلاً هو كثير.. قلت في كبرياء وجفاء:

-"لن أركب هذه السيارة أبدًا.."

وواصلت المشي فأوقف (كمال) هذا السيارة وترجل خالي ليلحق بي.. ماذا هنالك؟.. قلت في عصبية إنني سأشرح له كل شيء على الهاتف عندما أعود للبيت لكني لن أركب هذه السيارة أبدًا..

وتركته في شيء من الوقاحة ولحقت بـ (يمنى) فلابد أن الرجلين ظلا يضربان كفاً بكف..

-"أحسنت صنعًا.."

قالتها (يمنى) في حزم.. ثم أضافت:

-"إنه هو!.. وقح منحط مغرور.. لن أنساه أبدًا.. كان يلبس نظارة سوداء وثيابًا سوداء.. كأنه في فيلم عصابات أمريكي.."

-"وهذا شأنه اليوم.."

-"لا.. لكني لن أنسى ملامحه.. كما لا أعرف لماذا لا يقود السيارة بنفسه؟"

توقفت متصلبة وسألتها:

ـ"عمن تتكلمين بالضبط؟"

قالت في ملل:

ـ"عن ذلك الوغد الذي ترجل من السيارة وراح يحاول إقناعك بشيء!.. لو أصر لاستدعيت الشرطة أو استغثت بالمارة!."

يمنى. هذا الرجل كان خالي!.. لم يكن (عريس الغفلة) هو المتهم إذن..

ثم بدأت أتذكر.. لماذا لا أرى ذلك الملصق على الزجاج ولا ذلك الخدش على الجانب الأيسر؟.. هذه ليست السيارة التي أراها في كوابيسي.. عندما عدت للبيت اتصلت بخالي وقبل أن يبدأ في لومي على الإحراج الذي سببته له سألته:

ـ"هل السيارة التويوتا التي بعتها كانت مخدوشة من جانبها الأيسر؟.. وهل كنت عضوًا في ناد رياضي شهير ووضعت الملصق على الزجاج؟"

بدت الدهشة في صوته وقال:

ـ"سؤال غريب.. لكن هذا صحيح.."

ـ"ولماذا بعت السيارة؟"

ـ"ربما.. هو حادث مروع كاد يقضي علي.. لقد تورطت وارتكبت أخطاء كثيرة مع هذه السيارة، لذا شعرت بأنها دنسة وأن هذا الحادث إنذار سماوي لي.. لذا بعتها بثمن بخس!"

لم يشرح أكثر لكنني فهمت الباقي..

خالي الشاب كان يعبث وكان يعرض على الفتيات توصيلهن، وكان يتمادى كثيرًا كما حدث مع (يمنى)، فلما وقع له ذلك الحادث شعر بأن السيارة مشئومة ومدنسة.. باعها وقرر أن يعود لجادة الصواب..

حاستي مزجت بين عريس الغفلة الذي أخشاه كثيرًا وبين سيارة خالي لتخلق من هذا صورة مربكة.سيارة خالي يقودها رجل له ملامح كمال..

احترسوا من تلك السيارة..

إن من يقودها عريس لا أحبه ولا أشعر بأي ميل له، برغم أنه بريء كما هو واضح.. من الغريب أن خالي ليس ملاكًا كما كنت أتصور..

لن أتزوج زواج صالونات أبدًا..

الليلة سوف أقول (لا) واضحة صريحة مدوية، شاء من شاء وأبى من أبى.



جريمة ربع كاملة

(سليمان) يعاني مشاكل مادية جمة..

كلنا هذا الرجل على كل حال.. الحياة تزداد تعقيدًا والمصاريف مرهقة والغلاء فاحش.. لكن بالتأكيد لم يبلغ بنا الحال هذه الدرجة من السوء.. لقد بلغ (سليمان) المرحلة التي يدخلون فيها غرفة المكتب ليكتبوا مذكرة وداع ثم يخرجوا المسدس ليفجروا رءوسهم.. المشكلة هنا ان (سليمان) ليست لديه غرفة مكتب ولا يقدر على شراء مسدس..

بالفعل هو قد دخل البورصة، ولأنه يعرف حظه جيدًا كان يعرف منذ اللحظة الأولى أنه سيخسر.. إذن لماذا دخل؟.. لأن المرء يعتقد أن السيناريو قد لا يتكرر في كل مرة..

هكذا وجد أنه معدم بالمعنى الحرفي للكلمة.. معدم ومن الوارد أن يجوع كذلك..

كان (سليمان) يعيش وحده من الناحية الزوجية، فهو سيئ

الخلق عصبي لا تستطيع زوجة أن تعاشره طويلاً.. لهذا طلق زوجته قبل أن ينجب منها..

لكن لم يكن وحده.. هناك في الغرفة الكئيبة ذات الأثاث القديم التي تفوح في هوائها رائحة (مرهم النمر) المعتادة لتخفيف الآلام الروماتزمية.. هناك في الضوء الخافت الكئيب.. هناك في الحر الخانق.. هناك في الفراش غير المرتب الذي يمكن أن يجلب الأرق للموتى.. هناك جوار الكومود الذي يتوسطه الكوب الذي تسبح فيه الأسنان الصناعية..

هناك في ذلك الفراش يرقد عمه..

من الغريب أن يكون أنيسه الوحيد في العالم هو عمه، لكن أباه أوصاه به كثيرًا قبل الموت لأن العجوز يعيش بلا سند ولا ولد.. صحيح أن أباه مات قبل العم لكن وصيته ظلت حية..

هناك شيء آخر مهم هو أن العجوز ثري جدًا، وهذا يعني أن حسن معاملته قد يجعله يوصي بكل ماله لسليمان.. هذا ما حدث فعلاً..

العجوز هو الذي ينفق على البيت كذلك.. في بداية كل شهر

يذهب مع (سليمان) إلى المصرف ليسحب بعض المال ويعطيه إياه.. معظم هذا المال ينفق على الدواء طبعًا..

لكن هذا يدلك على شيء مهم آخر هو أن العم العجوز بصحة ممتازة.. أمراض الشيخوخة كلها عنده لكن بشكل عام لا يعني أن حياته مهددة بأي شكل.. تسعون عامًا وهو ما زال قادرًا على الخروج وحده أو دخول الحمام أو قراءة الجريدة..

التسلية الوحيدة التي اعتادها سليمان هي صوت السعال والبصاق القادم من غرفة النوم، أو ضحكة عابرة على مشهد في مسلسل تلفزيوني..

بالطبع لم يجسر قط على إبداء أي تذمر.. بعد عشرة أعوام صار العجوز جزءًا من أثاث البيت كالجدران.. لكنه لم ينس قط أن العجوز عصبي سريع الغضب، وهو بصحة جيدة تسمح له بأن يطلب المحامي ليغير وصيته..

لم تنضج الفكرة في ذهن (سليمان) إلا بعد خسارته في البورصة.. قرأ (الجريمة والعقاب) لدستويفسكي فأثارت اهتمامه شخصية العجوز التي لا نفع منها على الإطلاق.. العجوز التي لن يفتقدها أحد لو ماتت،

وهي تشكل العقبة الرئيسة أمام البطل كي يشق طريقه في الحياة..

ماذا فعل البطل؟.. قتلها..

يجب أن يموت عمه.. حان الوقت لذلك.. لكن كيف؟..

هناك الموت الذي يبدو حادثًا.. والموت الذي يبدو انتحارًا.. والموت الذي يبدو شيخوخة.. والموت الذي يبدو قتلاً..

الموت الذي يبدو انتحارًا لن يقنع أحدًا ولسوف ينتهي به الأمر إلى المشنقة.. أنت تحتاج إلى أدوية هضم كثيرة كي تهضم فكرة أن عجوزًا في التسعين ينتحر.. الموت الذي يبدو شيخوخة مغر، لكن العجوز لا يتعاطى أي دواء بشكل منتظم بحيث تخفي الزجاجة أو تلقي الأقراص في البالوعة.. سليمان لا يملك أية خبرة طبية ولا يعرف كيف يموت العجوز وعليه علامات النوبات القلبية.. الموت الذي يبدو قتلاً ممتاز، لكنه يعني أن تستأجر قاتلاً محترفًا وتقنعه بأن يترك آثارًا توحي بالسرقة مع العنف.. هذا القاتل نقطة ضعفك لأن هؤلاء الحمقى يقعون في قبضة الشرطة دائمًا ويتكلمون.. لو لم يقعوا في قبضة الشرطة فهم يحاولون ابتزازك..

إذن هو الموت الذي يبدو حادثًا..

دخـل علـى عمـه فوجـده يلـوك طعـام العـشاء في الفـراش أمـام التلفزيون.. نظر له وقد شعر بوجوده وقال وهو يشير للتلفزيون:

ـ"(ليلـى) لا تعـرف أنـه تـزوج أخـرى وأنـه يعـيش معهـا في الاسكندرية"

نظر له (سليمان) في غيظ.. رائـق البـال إلى هـذا الحـد؟؟...مـن يهتم بهذه المسلسلات السخيفة؟.. كان الجبن يحتشد علـى جـانبي فـم العجوز وهو يتكلم فشعر (سليمان) باشمئزاز.. ربما كان القتـل خدمـة للبشرية كذلك..

كان يفكر بسرعة..

يعرف أن العجوز يدخل الحمام مرة واحدة عند صـلاة الفجـر.. يتوضأ ثم يعود لغرفته.. هذه رحلة تستغرق طبعًـا مـع رشـاقة الرجـل ومرونته نصف الساعة..

هكذا عندما صارت الساعة الواحدة صباحًا، هـرع إلى الـصالة.. أولاً عالج المنصهر ليقطع الكهرباء عن الحمام فقط.. عاد للحمام.. هناك ذلك القابس القريب مـن الأرضـية وهـو قـابس قـديم متآكـل.. مـد يـده واسـتعمل المفـك ليخـرج سلكًا انتقـاه بعنايـة وجعلـه يلمـس الأرض..

حرص على أن يوحي المنظر بالإهمال كأن القابس كان تالفًا منذ زمن بعيد..

ثم اتجه إلى الحوض فملأ الدلو مرتين من المغطس وسكب محتواه على البلاط الزلق.. صار الحمام الآن غارقًا في بركة صغيرة سوف يتسرب بعضها في البالوعة لكنه سيظل مبللاً..

خارج الحمام يوجد ذلك الخف المطاطي الذي يستعمله عمه عند دخول الحمام، كي لا يبتل خفه الآخر.. مد يده وعالج الخف كي يترك في قاعه الملامس للأرض فتحة صغيرة..

هكذا وقد انتهى كل شيء عاد إلى لوحة المنصهرات فأعاد الكهرباء إلى الحمام.. عليه ألا ينسى ما فعله وإلا ذاق ذات السم الذي يسهر في إعداده..

كان التوتر شديدًا لذا ابتلع قرصين منومين وغطى رأسه بالوسادة في حجرته وانتظر.. يعرف ما سيحدث.. سينهض العجوز ساعة صلاة الفجر.. سيضع الخف في قدميه ويدخل الحمام.. طبعًا ستغلق المياه على الأرض الدائرة وتسري الكهرباء في جسده، ولسوف يسقط أرضًا ميتًا بالطبع.. حادث آخر ناجم عن الإهمال.. أيام من الحزن ثم الميراث.. الميراث الهائل له وحده...

يغطي رأسه بالوسادة ويحاول أن ينام..

في السابعة صباحًا نهض من الفراش ناسيًا كل شيء، واتجه للحمام..

هنا فقط رأى جثة العجوز المتصلبة على الأرض وتذكر كل شيء فعله قبل النوم.غريب هذا!.. لا يصدق أنه فعلها.. ربما لو فكر في الأمر مرتين أو انتظر حتى الصباح لعدل عن هذه الفكرة، لكن العجلة قد دارت والرصاصة انطلقت ولم يعد من مناص من الاستمرار..

اتجه للمنصهر وانتزعه ليفصل الكهرباء عن الحمام..

كانت السابعة والنصف عندما طلب الإسعاف والشرطة..

وفي التاسعة اتصل بي النقيب (سمير البنا) الذي يطلب رأيي في كل شيء، والذي عرفته عن طريق الطبيب النفسي د.(محمود).. حكى القصة وقال لي إنه راغب في أخذ رأيي.. قال:

-"القصة تبدو واضحة يا هند.. حادث آخر ناجم عن الإهمال كما يحدث كثيرًا في مصر.."

-"هذا مؤسف لكن لا دور لي إذن"

-"أشعر بأن الأمر غريب.. صدفة جعلت السلك يتدلى وصدفة

جعلت الخف مثقوبًا وصدفة أغرقت الحمام بالماء.. ألا يبدو هذا مريبًا؟"

فكرت في الأمر وبدا لي على شيء من الصواب..

هكذا تجدونني أقف في الشقة التي كانت مسرح الحادثة.. طبعًا جثة الفقيد مغطاة.. لم أعد أطيق رؤية المزيد من الموتى..

(سليمان) يجلس وهو يغطي وجهه بكفيه باكيا أو مصدومًا..

يرفع رأسه ليقول للنقيب:

-"لن أسامح نفسي ما حييت على أنني تركت هذا السلك المتدلي.. أنا اطلب رسميًا توجيه تهمة الإهمال لي.. "

قال النقيب متلطفًا وهو غير مقتنع بهذا الاستشهاد المسرحي:

-"لا أعتقد أن قاضيًا يمكن أن يدينك"

كنت أنا أجوب الشقة وأتشمم الجو بحذر، ثم أمسكت بالخف المثقوب وتفحصت مكان الثقب.. بعد ثوان عدت للنقيب وقلت:

-"الأمر واضح تمامًا.. كل شيء يشي بأنه فعلها عمدًا.. كل شيء.. أشعر بالشر في كل مكان.. ثم إن هذا الثقب في الخف.. لا يمكن أن ينجم عن بلى أو قدم.. الخف كله سليم وهناك ثقب واضح سميك في

القاع.. لقد تم عمله عمدًا.."

قال لي همسًا:

-"نعم.. أشعر بهذا.. لكن لا يوجد إثبات برغم هذا.. ربما العم العجوز هو الذي ثقب الخف بنفسه لسبب ما.. على كل حال كنت أرغب فيمن يؤكد لي ظنوني أما البرهنة عليها فأمر يخصني.."

عدت أسأل:

-"وكل هذا البلل في الحمام.. تذكر أنه موجود قبل أن يتوضأ الشيخ.. فمن أين جاء؟"

قال النقيب:

-"فكرنا في هذا.. (سليمان) يزعم أنه أخذ حمامًا في الثالثة صباحًا وهو ليس بارعًا في تجفيف الماء بعد الاستحمام.. "

-"ولماذا لم يتعرض للصعق بالكهرباء بدوره؟.. لقد كان يستحم كما يقول وبالطبع كان حافي القدمين"

-"ربما لأن الحمام لم يكن مبللاً بما يكفي. أو ربما هناك فأر شد السلك أكثر بحيث لامس الأرض"

-"هناك آثار عبث في القابس.. ألم تلحظ هذا؟"

-"يقول (سليمان) إنه حاول إصلاح القابس قبل هذا بيومين.. وفشل"

رحت أجوب المكان وأفكر.. بالفعل كل شيء مريب، لكن لا يمكن إثباته لأن المحاكم تتعامل مع الحقائق لا الظنون..

هل يمكن القول إن هذا الرجل قد ارتكب الجريمة الكاملة، وإنه فعلاً سينعم بثروة عمه القتيل؟.. مستحيل.. وإلا فلا نفع لموهبتي هذه على الإطلاق..

دخلت الحمام ونظرت إلى المغطس..

كان مليئًا بالماء إلى نصفه..

عدت إلى الصالة وهمست في اذن النقيب طالبة منه أن يوجه السؤال فلا صفة لي هنا.. هكذا سأل الرجل:

-"لماذا ملأت المغطس بعد ما استحممت؟"

قال مصطفى في شيء من الارتباك:

-"لا يمكنك أن تضمن انقطاع الماء هنا.. لابد من تخزين ماء احتياطي كل ليلة "

هنا نسيت نفسي فصحت في فرح:

-"وجدتها!.."

وجريت إلى الشقة المجاورة حيث كان الجيران المذعورون يقفون على الباب، فسألتهم في مرح أثار دهشتهم:

-"هل كانت المياه على ما يرام البارحة؟"

قالت امرأة بدينة تربط شعرها بمنديل أحمر لامع:

-"لم تكن هناك نقطة طيلة الليل يا حبيبتي.."

عدت إلى الداخل وصحت في النقيب:

-"لم تكن هناك نقطة ماء طيلة الليل!.. الشيخ كان ينوي أن يتوضأ من الماء في المغطس يصبه على نفسه صبًا.. من أين أتى الماء الذي أغرق الأرضية؟.. هناك من سكبه وهو ليس العجوز قطعًا فهو لم يجد الوقت الكافي لذلك.. سليمان لم يستحم وهذه أول كذبة.. لديك ماء صبه (سليمان) على الأرض، ولديك سلك في وضع غير طبيعي، ولديك ثقب في خف لا يمكن أن يكون قد نجم عن فرط الاستعمال، ولديك دافع قوي للقتل.. باختصار: لديك جريمة مكتملة الأركان.."

نظر لي في حماس والتمعت عيناه..

ونظرنا معًا نحو (سليمان) الذي لم يسمع هذه المحادثة.. كان

جالسًا على الأريكة متظاهرًا بالتأثر، يتصفح بعينين لا تريان صفحات نسخة مهترئة من رواية (الجريمة والعقاب)..

لماذا هذه الرواية بالذات؟



يمكنني بسهولة

يمكنني بسهولة أن أرى المشهد..

هناك قرب مدينة (......) مدخل قرية على اليمين.. هناك طريق ترابي غير ممهد، وهو يمر أولاً بقنطرة صغيرة ثم طريق وعر للغاية.. هناك طاحونة قديمة مهجورة يقعي جوارها كلب أجرب مريض.. ثم ذلك المدخل الضيق بين بيتين من الطين الجاف..

هناك يمكنك أن ترى الجثة وقد تمت تغطيتها بالقش، لكن الريح سوف تذروه قريبا جدًا.. لن يطول الأمر قبل أن تنكشف للعيون وحتى لو لم يحدث هذا فلسوف تجدها الذئاب أو الكلاب الضالة..

يمكنني بسهولة أن أرى هذا كله..

ها هي ذي مدام (عفاف) تنظر لي منتظرة ما سأقول.. ها هو ذا أخوها الأستاذ (مصطفى) ينتظر ما سأراه.. إنهما متوتران يشربان الشاي لكنني أعرف أنهما يتعذبان في ابتلاعه كأنه حمض

الهيدروكلوريك المركز.. لهذا يضعان الكوبين جانبًا فلا يرفعانهما إلا كلما ألحت أمي..

لقد كان يومًا عاديًا وفي المساء اتصل بي النقيب (سمير البنا).. إذن هم بحاجة إلى حاستي في مهمة جديدة.. قال لي إنهما قادمان..

قلت في عصبية:

ـ"أنا أحب مساعدة الناس.. لكني أكره أن أعامل كعرافة أو واحدة من المشعوذين الذين نراهم في السينما.. هناك كنز مدفون تحت المقبرة ونريد عونك كي نجده، ولك 10٪ من قيمته.. الخ.."

قال في لهجة أقرب للتوسل:

ـ"أعتقد أن هذا العرض يكون رائعًا.. لكن للأسف أنا لا أعد بشيء سوى الثواب ومتعة أن تكوني مفيدة.. فعلاً نحن بحاجة لهذا اللقاء.. أرجوك.."

هكذا يتوتر كل شيء في البيت.. تسرع أمي بتنظيف الصالون والمدخل وترسل أخي لشراء بعض المياه الغازية والجاتوه.لا أحد يزورنا تقريبًا أثناء سفر أبي، لذا تغدو هذه الزيارات مزعجة فعلاً..

لكننا شعرنا بالراحة والهدوء عندما ظهر الضيفان.. السيدة

محجبة وقور يبدو القلق على وجهها بشكل يدفع للشفقة، والرجل يشبهها تمامًا.. مستحيل أن يكون زوجها بل هو غالبًا أخوها..

صافحتها وقبلتها على خدها من دون سابق معرفة، لكنني شعرت فعلاً بحنان عارم يغمرني نحوها..

لحظة تقبيلها رأيت المشهد بوضوح تام :

جثة مهشمة الرأس ملقاة في مكان مترب وفوقها كومة من القش.. لا أعرف جثة من ولا سبب رؤيتي لها، لكن الأمر اتضح من اللحظة الأولى.. هذه الجثة هي ما تريد المرأة السؤال عنه..

لكن هذا لا يدل على شيء.. إن موهبتي غامضة تتصرف بطرق عجيبة.. مثلاً قد تريد المرأة السؤال عن شخص ما فتكون هذه الصورة الشنيعة هي الإجابة.. قد تكون هذه المرأة تحمل الصورة البشعة في عقلها الباطن كأحد مخاوفها.. قد تكون المرأة رأت هذا المشهد فعلاً.. أي إن موهبتي العجيبة هذه تتراوح بين قراءة الأفكار والاستبصار والحدس.. فإذا أضفنا لهذا قدرًا لا بأس به من التلفيق من خيالي الخاص، لأمكنك فهم الحيرة التي أنا فيها.. لو كانت الأمور واضحة بمعنى أن أقرر قراءة أفكار السيدة فأقرؤها، لكانت الحياة سهلة جدًا،

ولأمكنني أن احكم العالم!

قالت لي وهي تجلس وتخرج منديلاً في حال سيئة واضح أنها مسحت به أنفها ألف مرة:

-"زوجي.. (أحمد المهندس).. شركة استثمارية.. يقوم بهذا كثيرًا جدًا.. حقيبة مليئة بالمال يسافر بها.. لكنه لم يعد هذه المرة.. يوم.. يومان.. الشرطة تبحث.. لا أثر له ولا لسيارته.."

يتدخل الأخ:

-"الكل يتوقع ما حدث.. لكن لا أحد يجرؤ على قوله.."

تنظر لي الزوجة وتقول في رفق:

-"خلال أسبوع جربنا كل طريقة يعرفها العلم.."

-"ثم خطر لنا أن نجرب طرقًا أخرى.."

أنا إذن طريقة أخرى لا يقرها العلم!.. لا أختلف كثيرًا عن الشيخ (عطوة) نصاب القرية الذي يحرق البخور وينادي (شمهورش) طيلة الوقت.. هذا يثير غيظي.. على قدر علمي أنا ظاهرة علمية جدًا لكنها لم تدرس بشكل كاف.. لا يوجد مجال هنا للسحرة والمشعوذين..

تمسك الزوجة بيدي في ضراعة..

أمي قد بدأت تعتاد هذه الأمور وتفهمها.. هي لا تصدق حرفًا من ذلك، لكنها تعرف أن رجل شرطة يأتيني من وقت لآخر طالبًا النصح.. صار هذا نمطًا معتادًا في حياتي..

أنظر للزوجة طويلاً..

يمكنني بسهولة أن أرى الدم.أرى خيط الدم الطويل الذي سال أثناء نقل الجثة.. يمكني سماع صوت الذباب.. فقط لا أستطيع معرفة اسم البلدة التي تمت المأساة جوارها.. لا أعرف أين.. رأيت الجثة ومكان التخلص منها، لكني لا أعرف أين يحدث هذا..

سيدتي.. أنا تلقيت الإجابة التي تريدين.. أعرفها تمامًا.. لكني لن أخبرك بحرف منها..

تقول لي الزوجة دامعة:

ـ"أرجوك. ركزي تفكيرك.. ماذا حدث لزوجي؟.. قالوا لنا إنك تستطيعين لو لمست شيئًا من أشيائه أو أطبقت يدك على يدي.. أرجوك"

يقول أخوها وهو يدس يده في جيبه:

ـ"هذه ساعته وهذا هاتف محمول يستعمله أحيانًا.. لربما لو لمست هذه الأشياء لاستطعت أن.."

ألمس الهاتف والساعة.. أبتلع ريقي..

يمكنني بسهولة أن أرى جثة مهشمة الرأس.. في هذه اللحظة بالذات هناك كلب أجرب جائع شرس المنظر يقترب.. ينبش وسط القش..

يمكنني بسهولة أن أرى السيارة.. سيارة زرقاء اللون تقف بين الأشجار الكثيفة في عزبة ما.. الأبواب مفتوحة وقد غطاها التراب تمامًا.. هناك جرار يتحرك من بعيد.. أسمع هدير محركاته..

لكنني لن أقول.. لن أتكلم..

تسألني الزوجة في إلحاح:

ـ"هيه؟.. آنسة هند.. هل رأيت شيئًا؟"

أقول في حذر:

ـ"هذه الأمور لا تتضح بهذه السهولة.. أرجو أن تعطيني فترة كافية للتأمل.. لا يتعلق الأمر بزر أضغط عليه فأرى.."

لكن يمكنني بسهولة أن أرى الكلب يزيح القش عن الوجه.. أرى الوجه المشوه جاحظ العينين.. هذا رجل في الخمسين من العمر.. له شارب كث.. الكلب يقترب.. يفتح شدقيه..

إنه...

كيف لو عرفت الزوجة ما يدور في هذه اللحظة بالذات؟.. سوف اصمت.. نعم.. لن يفيدها أن تعرف أية رؤى مريعة تتلاعب في خيـالي الآن..

يمكنني بسهولة أن أرى مـدخل الطريـق الترابـي.. لا يمكـن أن يهتدي له رجال الشرطة، لأن هناك مثله مئات في كل قرية بمـصر.. لا توجد علامات مميزة..

أركز تفكيري أكثر.. السيارة الواقفـة مفتوحـة البـاب.. لماذا لا يراها صاحب الجرار؟.. ألم تثر فضوله؟.. إلا لو كان يعـرف.. يعـرف سبب وجودها هنا..

هناك اسم يتردد في ذهني بلا توقف.. (الوحـدة المحليـة بكفـر الدنانير).هذا هو المكان..

هذه المرة فتحت فمي.. قلت:

ـ"كفر الدنانير.. سيارتـه هناك!"

هنا نظرت لي الزوجة في ذهول ثم تبادلت النظـر مـع أخيهـا.. احمر وجهها وقالت:

ـ"كفر الدنانير؟.. هذه قريته قرب الزقازيق.. عزبة أسرته هناك.. لماذا يعتدي عليه شخص ويأخذ سيارته ليخفيها في قريته بالذات؟.."

نظر لي أخوها في دهشة.. هل أنا أخرف؟.. لكن من أين لي بمعرفة اسم القرية؟.. بالفعل أنا متأكدة.. لقد سأل رجال الشرطة عنه هناك لكنهم بالطبع لم يجروا بحثًا مدققًا.. لو حدث شيء للزوج فآخر مكان يخفي فيه المعتدون سيارته هو قريته.. هذا شيء غريب لكنه حقيقي..

هنا خطرت لي فكرة.. قلت للزوجة:

ـ"هل معك صورة لزوجك؟"

ـ"طبعًا.. "

ووضعت كوب الشاي المسموم لتبحث في حقيبتها، ثم تناولني صورة صغيرة.. تأملتها فرأيت رجلاً وسيمًا حليق الوجه.. لا علاقة له بالوجه الذي يمكنني بسهولة أن أراه تحت القش...

أمسك بالصورة وأحاول التركيز.. أكثر فأكثر..

يمكنني بسهولة أن أرى مكانًا واسعًا يجلس فيه ناس.. كلهم

قلقـون.. يمكـنني بـسهولة أن أسمـع صـوتًا أنثويًـا أنيقًـا يـتكلم بالإنجليزية.. أسمع صوت محركات.. هذا مطار.. لا شك في هذا..

أنهض كالملسوعة.. أجري بسرعة لأرفع سماعة الهـاتف بينمـا الضيفان ينظران لي بدهشة..

أطلب رقم النقيب (سمير البنا).. يسألني في مرح عمـا إذا كنـت أقضي أسوأ ساعات حياتي، لكنني لا أبادله المرح.. أقول له في عصبية أن يتصل بالمطار حالاً:

-"الزوج المختفي.. (أحمد المهندس) في المطار الآن.. سوف يغادر البلاد.. يجب أن تمنعوه!"

-"هل تعنين أنه حي؟"

-"حي وقاتل!.. لقد قرر أن يختفـي ويـسرق المـال الـذي كـان في الحقيبة، وقد تم هذا بمـساعدة شـريك.. شـريك اختلـف معـه غالبًـا، فهشم جمجمته وأخفـى جثتـه في مكـان قريـب جـدًا مـن قريتـه (كفـر الدنانير).. يمكنني أن آخذك هناك.. أعرف المدخل الذي يقودنا للجثة والتي أوشكت الكلاب على تدمير معالمهـا.. أمـا الـسيارة فتركهـا بـين الأشجار في العزبة حيث يصعب أن يجدها أحـد. بـالطبع نقـد الخـولي مالاً كي يتناسى وجودها!"

ثم صحت في عصبية:

ـ"لكن لماذا أضيع الوقت بالشرح؟؟.اتصل بالمطار حالاً قبل فوات الأوان.. أرسل أحدهم بصورته لأنه قد يحمل جواز سفر باسم مستعار.. فقط أعرف يقينًا أن حقيبته محشوة بالمال.. "

ـ"حاضر.. حاضر!"

ووضعت السماعة واستدرت للزوجة وأخيها.. لقد تجمدا مذهولين عاجزين عن الكلام، لكنهما سمعا كل شيء..

يمكنني بسهولة أن أعرف أنني محقة.. يمكنني بسهولة أن أقود الشرطة لموضع الجثة، لكني لا أقدر بأية وسيلة على إزالة هذه الصدمة القاسية التي تلقتها الزوجة المخلصة.. زوجها لص.. وقاتل.. وخائن.. ونذل.. ولو لم تأت لي الليلة بالذات لهرب للخارج لينعم بحياة جديدة تاركًا زوجته ترثي نبله وشجاعته ورقته، وتحمل لقب (أرملة)..

إن الحقيقة قاسية.. لكنها أكثر رحمة من الحياة مع الخداع والأوهام.يمكنني بسهولة أن أفهم هذا، لكن الزوجة لن تفهمه إلا بمرور الزمن.

أحدهم كان هنا

أحب اللحظات التي أعود فيها لحياتي الطبيعية.. (هند) الفتاة الشابة المرحة نوعًا، المتفوقة في دراستها ولها كل اهتمامات الفتيات الأخرى..

كثيرون يعتقدون أن امتلاك موهبة خارقة للحواس شيء خارق، لكني دعني أؤكد لك أن هذا يجعلك تشعر بالاختلاف، والاختلاف هو بوابة الوحدة..

تتعلم أن تتكتم، وتتعلم ألا تثق بالآخرين.. في الوقت نفسه أنت تعرف عنهم أكثر من اللازم.. تعرف أفكارهم وهواجسهم.. لهذا تتعلم ألا تثق بهم أبدًا..

هناك دائمًا رسالة غامضة تتلقاها من كل شيء ومن كل جهة.. تحاول الفهم فتعجز أحيانًا..

الخلاصة.. تشعر بأنك شخص فلتة Freak كما يقولون..

السؤال هنا: كيف يمكن أن تتزوج؟.. كيف يمكن أن تثق برجل تعرف أفكاره جيدًا؟

إن الكتمان لنعمة.. القناع الاجتماعي نعمة.. لو وجد إنسان قادر على رؤية الناس من غير ثياب، فلابد أنه سيموت من الاشمئزاز.. الثياب ضرورية جدًا وكذا بعض الخصوصية.. أنا أرى الناس أغلب الوقت من دون ثياب نفسية..

أقول إنني أمر بفترة يبدو فيها أن موهبتي تراجعت كثيرًا.. لم تعد تعلن عن نفسها على الإطلاق، حتى إنني دخلت امتحان منتصف العام، فلم أر في ذهني تلك الأسئلة التي تتردد بلا انقطاع..

أخرج مع أختي.. أشاهد التلفزيون.. أثرثر عبر برامج المحادثة.. أتفرج على واجهات المحلات ولا أشتري أي شيء كالعادة، ممارسة تلك الهواية الأنثوية القوية: تضييع وقت البائع واستفزازه..

ثم أعود للدار فأنعم بنوم هادئ بلا أحلام..

أبي سيعود الأسبوع القادم.. هذا يعني أن يعود الدفء للدار.. يقولون إن الرجال مهمون جدًا.. لا أدري.. لكن أبي مهم جدًا بصرف النظر عن كونه رجلاً أم لا.. سوف يصحبنا في النزهة ويمزح معنا،

ولسوف يجلس بالمنامة في الصالة يشاهد التلفزيون بينما أعد له القهوة..

كل شيء على ما يرام..

أو أعتقد هذا..

بدأ كل شيء عندما عدت من الخارج ظهرًا ودخلت غرفتي.. إنها غرفة فتاة بلا زيادة أو نقصان.. عدة صور لراغب علامة وكاظم الساهر.. هناك مجموعة من الدببة (تيدي) أو (الدباديب) على الفراش، وهناك ملصق كبير لـ (ميني ماوس) على الجدار..

بدأت أرتب فراشي الذي لم أرتبه صباحًا.. هنا بدأت أتوتر.. هناك شيء غريب..

ذلك الشعور الممض يعصف بي.. أشعر برجل!...توترت وتلفتت حولي.. لا يوجد شيء.. لكن هناك رجلاً.. أنا متأكدة.. هناك رجل كان هنا.. إن رائحته النفسية قوية فعلاً..

ما معنى هذا؟

خرجت في عصبية إلى أمي لأسأل:

-"هل كان هناك رجل هنا؟.. كهربائي أو نجار أو أي حرفي؟"

قالت في برود:

-"تعرفين أنه ما من حرفي يدخل البيت في غياب أبيك"

-"هل كان خالي هنا؟"

-"بالطبع لا.. ما هذه الأسئلة العجيبة؟.. هل من شيء في غرفتك؟"

هززت رأسي.. بالطبع لا أستطيع أن أقول شيئًا.. هي لا تصدق حرفًا عن قواي النفسية.. فقط تضحك ولا تعلق كلما جاءت سيرة الموضوع.. يبدو الأمر عجيبًا مسليًا مستحيل الفهم عندما تسمع عنه.

عدت للحجرة وفتشت بعناية.. فعلاً لم يضع أي شيء.. هناك بعض الحلي وهناك ألف جنيه أدخرها موضوعة في مكان ظاهر.. من المؤكد أنها لم تمس..

- (هند) يا ملاكي.. أنت تهذين بلا شك..

جاء الليل وخرجت مع أختي لشراء بعض الأشياء، ثم عدنا..

دخلت حجرتي فأجفلت.. هذا الشعور قوي جدًا.. هناك رجل كان هنا.. رجل في غرفتي دون علمي هو بلا مناقشة لص..

ركعت تحت الفراش باحثة، ثم فتحت خزانة الثياب.. لا

شيء..

لكنه موجود.. موجود بقوة.. أوشك أن أراه لكن وجهه يضيع.. ماذا كان يفعل وماذا يريد؟

رحت ابحث في الشقة بعناية، وفتحت الشرفة.. ثم بحثت تحت كل الأسرة حاملة كشافًا صغيرًا.. لا شيء.. سألتني أختي في دهشة:

ـ"هل جننت أخيرًا؟"

أمرتها بأن تخرس.. ثم تأكدت من أن شرفة غرفتي مغلقة وبابها مغلق وأطفأت النور.. من المستحيل أن أنام مع هذا الوجود القوي هنا.. فعلاً ظللت ساهرة حتى تسرب نور النهار عبر الستار..

هنا فقط نمت كجثة هامدة..

نمت حتى الظهر.. صحوت من النوم على أمي تفتح الشرفة وتلومني بلا توقف على أنني صرت كسولاً كالخنزير.ثم أخبرتني أن خالي وصديقه جاءا..

نهضت وارتديت روبًا ثم خرجت من غرفتي.. رأيت خالي يقف هناك في الردهة، فلما رآني أشرق وجهه وقبلني على خدي.. ثم

أعلن أن رائحة النوم تفوح مني بقوة. كنت أفكر بلا انقطاع وأركز كل تفكيري.. هل هو؟.. لا.. لا يعطي ذات الانطباع الذي شعرت به..

خرجت للصالة فرأيت صديقه.. شاب هادئ خجول صافحني في ارتباك ثم سحب يده سريعًا لكنني نجحت في التركيز لثوان.. لا شك في أنه ليس الرجل المقصود.. الرجل المقصود الذي تكفيني لمسة واحدة ليده مع التركيز لأعرف أنه هو..

كانت أمي قد أعدت مائدة الغداء فجلسنا جميعًا نأكل..

عدت لغرفتي.. هنا انتفضت.. لقد تجدد هذا الشعور بقوة من جديد.. لقد دخل هذا الشيء بينما أنا أتناول غدائي!.. ولكن كيف؟.. هل يجرؤ؟

بأية طريقة أشعر به؟.. هل هذا تخاطر أم استبصار؟.. هل هو الإحساس بمن لمس الشيء Psychometry أم هي رؤية المستقبل؟

هذا سؤال مهم لأنه يعني إما أن الرجل دخل الغرفة فعلاً، أو إنه سيدخلها في المستقبل، أو إنني أخرف ببساطة..

الاحتمال الأخير مريح لكنه غير مقنع.. لم يحدث من قبل أن شعرت بهذا الشعور الكاسح..

لا أستطيع أن أتصل بالشرطة لأقول إن لدي شعورا قويًا بوجود لص.. فقط أقوم بفتح الأدراج كلها.. لقد فتح هذا الدرج وذاك.. لم يفتح هذا..

أعتقد ذلك.. ربما فتح الخزانة.. لا.. لم ينم في الفراش..

أوشك على أن أجن..

أخيرًا قررت أن أفعل شيئًا.. يجب أن أبرهن على إنني حمقاء..

خرجت إلى بيت جارتي (منى)، وكانت موشكة على نوم القيلولة فطلبت منها كاميرا الويب الخاصة بها.. كاميرا لاسلكية هي، ابتاعها أخوها عندما كان في أمريكا.. أداة صغيرة مستديرة تشبه كرة العين، ويتم إخفاؤها في مكان ما، ثم يتلقى جهاز الكمبيوتر الصورة منها عبر مدى معين..

أداة خطرة فعلاً.. ممتازة للتجسس..

قالت لي في شك:

-"هل أنت متأكدة من أنك تريدين أخذها؟"

-"نعم.. ولن أكسرها.. أؤكد لك.. "

-"لو حدث لها شيء لكسر أخي رأسينا معًا.. سنتمنى لو لم

نولد.. أذكرك كذلك بالقرآن الكريم : (ولا تجسسوا)..."

قلت لها مؤكدة:

-"سوف أتجسس على غرفتي الخاصة.. صدقيني.. "

أفهمتني أن الكاميرا ستؤدي عملها طالما كانت في مجال الإرسال.. لحسن الحظ إن غرفتينا متلاصقتان عبر الجدار. سوف تستقبل الصور على جهازها وتسجلها لي لأراها فيما بعد.

هكذا عدت لغرفتي التي توحي بشدة بوجود رجل.. تسلقت على الفراش لأبلغ قمة خزانة الثياب ثم دسست تلك الكاميرا هناك بحيث تطل عينها على الغرفة من مسقط علوي كاشف. وضعت حولها بعض الصحف والمجلات بحيث تخفيها عن الأعين ولا تحجب الرؤية، ثم نظرت لأعلى للعدسة وطلبت (منى) على جهاز الهاتف المحمول:

-"هل ترينني؟"

-"أراك بوضوح تام.. وأرى الفراش وباب الغرفة في ركن الصورة"

-"جميل.. سوف أخرج الآن.. أرجو أن تداومي على التسجيل لمدة ساعتين "

وهكذا غادرت البيت.. رحت أمشي في الطرقات أشاهد واجهات المحلات، وابتعت الكثير من الشيكولاته وكل ما يلزم للتسلية.. دخلت كل محل قابلته.. توقفت أمام كل واجهة.. أضعت ساعتين بصعوبة بالغة لأنك إذا أردت تبديد الوقت تثاقل كالسلحفاة..

أخيرًا مرت ساعتان فعدت لداري....

كنت ملهوفة على معرفة ما تم.. لكن يجب أن أرى الفيلم بنفسي ولا تصفه هي لي.. ثم إنني أعرف أنها لن تظل تراقب الشاشة كل هذا الوقت.. لابد أنها نهضت لتشرب في اللحظة الحاسمة..

كانت حجرتي توحي بشدة بأن ذلك الرجل الغامض دخلها.. لمساته في كل شيء..

بعد ربع ساعة قرعت باب (منى) وأنا مهمومة قلقة، فحيتني ثم قالت في مرح:

-"انقطع الإرسال بعد ساعة.. لا أعرف السبب لكن هذه الأشياء تحدث.. تعالي لتري الفيلم"

وفي غرفتها قامت بتشغيل الكمبيوتر.. لا شيء سوى الغرفة الخالية في إضاءة خافتة تعمدت تركها هناك.. طلبت منها أن تسرع

الصورة قليلاً ففعلت..

بعد نحو ساعة من الفيلم أو أقل انفتح باب الحجرة الظاهر في الركن.

يدخل الرجل الذي اثار رعبي كل هذا الوقت.. يتلفت حوله في قلق ثم يبدأ التفتيش.. يقلب المرتبة على الفراش ويعيدها.. يفتح درجا ويغلقه.. يبحث تحت الوسادة..

إنه (رامي).. أخي الصغير!

تساءلت (منى) وهي تراقب الشاشة:

ـ"رأيته ولم أفهم ما يريد.. "

كنت أنا أعرف.. منذ ثلاثة أيام عاقبته على أنه ضرب رأسي بالكرة، فأخذت حصالته.. العلبة الصغيرة التي يدخر المال فيها، وأخفيتها عنه.. واضح أنه يتحين أية فرصة لا أكون فيها في حجرتي كي يفتش بعناية بحثًا عن تلك العلبة.. إنه لا يقنط ويعيد البحث في ذات الموضع مرارًا.. الآن أتذكر أنه غادر المائدة للحظات عندما كنت مع خالي.. لا يعرف أنني أخفيت العلبة في غرفته بالذات تحت الفراش..

رجل!.. نعم.. لم أفطن من قبل لهذا، لكن علامات المراهقة

ظهرت عليه.. صوته خشن وله شارب زغبي صغير.. لقد أخبرني حدسي بأن هناك رجلاً في غرفتي لكنه لم يخبرني من هو، وأنا لم أفكر في رامي قط ولم أحاول أن ألمس يده وأنا أركز ذهني لأعرف..

حاستي تقدم لي معلومات دقيقة لكنها غير كاملة.. تقدم لي الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة لكنها ليست كل الحقيقة..

أما لماذا لم أشعر بهذه الهالة الذكورية إلا في غرفتي، فلأنها غرفتي التي أعرف كل ركن فيها والتي تضوع بالأنوثة ولم يدخلها رجل قط باستثناء أبي.. عالمي الخاص جدًا.. لهذا بدا وجوده واضحًا فيها كفيل يمشي في القطب الشمالي..

الآن أرى على الشاشة رامي يجذب مقعدًا ليتسلق عليه.. يريد أن يفتش فوق خزانة الثياب.. يقرب وجهه من العدسة جدًا ويمد يده.. يتشوه وجهه كعادة العدسات.. ثم..

ثم أظلمت الصورة فلم تعد هناك إلا خطوط عرضية..

قالت (منى):

-"هل عرفت الإجابة عن سؤالك؟"

-"نعم.. "

- "إذن أرجو أن تعيدي لي الكاميرا قبل أن يكتشف أخي اختفاءها.. "

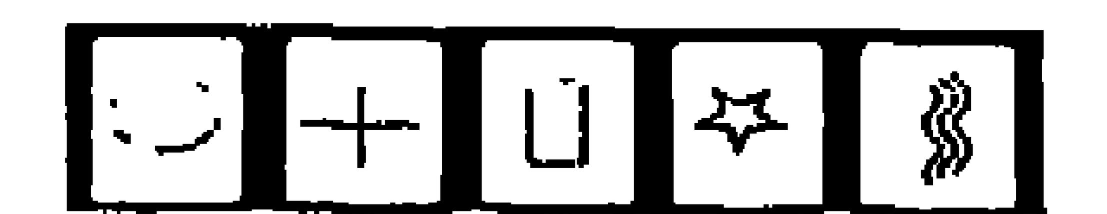
لكني بالطبع كنت أعرف بقية القصة.. رامي يمد يده فوق خزانة الثياب.. جسم كالكرة يتدحرج على الأرض ويتهشم.. رامي يصاب بالذعر ويفر..

وجدت الكاميرا المهشمة في غرفة النوم على الأرض قبل أن آتي لمنى.. الآن أعرف أنه رامي وأعرف أنني كنت قلقة بلا داع..

فقط علي أن أخبر (منى) بما حدث لكاميرا أخيها.. علي أن أعتذر لها وأمنعها من الصراخ الهستيري.. ربما أتعلم الشراء من الإنترنت لأبتاع لها واحدة أخرى من موقع (أمازون).. يعلم الله كم يبلغ سعرها ومتى تصل..

أمامي مشاكل كثيرة.. فليساعدني الله على اجتيازها في سلام!!

جلسة مخيفة



هذه إجازة منتصف العام.. سوف يأتي أبي بعد يومين، لهذا يسود البيت جو من الترقب المرح.. أجمل شيء في الآباء الذين يمضون أكثر الوقت في عمل بعيد عن أبنائهم أنهم يتصرفون كالضيوف بالضبط..يدللون أولادهم ويلبون رغباتهم، بينما يفضلون عدم تضييع الوقت في التوبيخ والعقاب.. لهذا تكون زيارة أبي حلمًا...

هذه إجازة منتصف العام لهذا تضايقت جدًا عندما أيقظتني أمي في التاسعة صباحًا كي أرد على مكالمة من د.(محمود الألفي).. إنه صديق عزيز وله الحق في أن يزعجني ويقلق راحتي، لكن من حقي أن أشعر بالغيظ..

حافية القدمين أتثاءب رفعت السماعة فجاءني صوته المذعور.. هذه المرة الأولى التي أسمع فيها صوته مذعورًا.. كان يقول:

ـ"هند.. أنا بحاجة لك.."

أخيرًا اعترف بحبه لـي علـى مـا يبـدو.. ثـم أفقـت مدركـة أن النعاس يجعلني أهذي..

-"خيرًا؟"

-"إن خالتي في مأزق حقيقي.. "

خالته في مأزق.. هذا مبرر كاف لإيقاظي في ساعة كهـذه إذن.. ما هي التفاصيل؟

قال بنفس الذعر:

-"زوج خالتي قد توفي منذ عام.. ترك لها بيتًـا في المعـادي تقـيم فيه.. خالتي تصر على أن تبيع هـذا البيـت بـثمن بخـس وتقـيم في أي مكان آخر.."

-"هذا من حقها.."

-"لا.. كبار السن يتصرفون بسذاجة أحيانًـا.. هنـاك مـا يعـرف بالحجر قانونًا بالنـسبة للمـسنين الـذين يرفـضون معرفـة مـصلحتهم، ولكن ابنها الوحيد لن يرفع على أمه قضية حجر.. معنى هذا أن خالتي ستبيع فيلا رائعة الجمال بحديقة غناء، مقابل ملالـيم.. وسـوف تقـيم بقية حياتها في شقة بغرفة وصالة في حي قذر.. هل فهمت المشكلة؟"

تثاءبت من جديد وعدت أسأل:

-" لابد أن البيت يذكرها بفقد زوجها أو له ذكريات أليمة"

-"الأمر كذلك نوعًا.. المشكلة أن زوجها أمرها بذلك.."

فركت عيني من جديد.. لقد تجاوز التخريف مداه بالنسبة لي.. زوجها أمرها؟.. قلت إنه مات..

قال في ملل:

-"إنها تؤمن باستحضار الأرواح.. قابلتْ من يدعى د.(مهران) وهو نصاب يزعم أنه يستحضر الأرواح.. وقد قام بعدة جلسات في بيتها.. زوجها يتكلم في هذه الجلسات ويأمرها بأن تبيع الفيلا لمن يدعى (شوقي حمدان).. خالتي مقتنعة جدًا بأن هذه رغبة زوجها وسوف تفعل ذلك.. لقد اتصلت خالتي بالمحامي وطلبت منه ترتيب كل شيء.. المحامي أصابه الذعر واتصل بي طالبًا رأيي فهو كان يرعى مصالح زوجها لفترة طويلة ومصالحها المالية تهمه.. قلت له إنني سأحاول التصرف.. "

-"أنت طبيب نفسي.. يمكنك بالفعل أن تقنعها.. "

-"مستحيل.. إنها متصلبة الرأي بشكل لا يصدق ولا تقبل أي

منطق.. "

ـ"والمطلوب مني؟"

شهق وقال:

ـ"هناك جلسة تحضير أرواح في التاسعة مساء اليوم.. أريد أن تحضري الجلسة وتحاولي أن تلتقطي شيئًا.. هناك خدعة ما لكني لا أعرف كنهها.. "

ـ"ولكن..."

عاد يقول متوسلاً:

ـ"سوف أوصلك إلى هناك وأعود بك للدار.. دعيني أكلم والدتك لتوافق.. على الأقل يمكن للطب النفسي أن ينجح معها.. "

الآن أنت تعرف كيف بدأ كل شيء..

أنا في سيارة د.(محمود) وهو يتجه إلى حي المعادي الراقي الجميل.وعندما رأيت الفيلا شهقت غير مصدقة.. هذا أجمل بيت رأيته في حياتي.. يذكرك بالبيوت التي كنت تراها في أفلام الستينات.. ربما ترى (شادية) أو (فاتن حمامة) في أية لحظة.. سوف ترى صبيًا على دراجة تتبعه الخادمة التي هي (وداد حمدي) طبعًا..

يمكن إذن فهم القصة.. النصاب الذي يستحضر الأرواح على علاقة بـ (شوقي حمدان).. هكذا يقوم بإقناع السيدة المسنة.. وفي النهاية تباع الفيلا بثمن ربع كيلوجرام من الفول السوداني..

شعرت بالدم يتصاعد لرأسي غيظًا.. خداع الضعفاء والجهلة وحسني النية أمر يحطم أعصابي.. تذكرت قصة (حذار من الشفقة) لـ (ستيفن زفايج) عندما نجح النصاب اليهودي في خداع فتاة بريئة ساذجة باعته كل ما تملك وصارت معدمة تمامًا، وبرغم هذا شكرته على عنايته بها.. عندئذ فقد التحكم في أعصابه وأدرك كم هو وغد شيطاني.. لكنه لم يجسر على الاعتراف بذنبه.. هكذا تزوج هذه الفتاة البريئة ليرعاها بمالها!!

موقف إنساني غريب وطريف، لكن لا أتوقع أن يملك شوقي حمدان ربع هذا الضمير..

ندخل الفيلا.. هناك في قاعة فسيحة خافتة الإضاءة مائدة مستديرة واضح طبعًا أنها معدة لهذه الأغراض.. هناك سيدة عجوز ورجل وقور ونصاب.. أنت تعرف كيف يبدو النصابون.. وهناك شاب مذعور واضح أنه ابن السيدة العجوز.. طبعًا السيدة العجوز نبيلة الملامح هي خالة د. محمود..

كاذبًا قدمني د.محمود الألفي لهم:

ـ"هند.. صحفية مهتمة باستحضار الأرواح."

نظروا لي في شك وحيرة ونظر لي النصاب بعدائية واضحة..

قال د.محمود وهو يقدمهم لي:

ـ"خالتي مدام (عصمت).. ابنها (شريف).. د.(مرزوق) ابن خالتي الثانية وهو أستاذ فلسفة بالجامعة.. د.(مهران) خبير استحضار الأرواح.. "

عرفت أن د.مهران على شيء من الخبال.. هذا مفهوم.. لابد للنصاب المقنع أن يكون مقتنعًا بما يفعله نوعًا وإلا لما أحدث تأثيرًا نفسيًا.. لكني عرفت بحاستي كذلك ما كنت أعرف أنني سأعرفه: هذا نصاب وهناك خدعة كبرى هنا.. لكن ما هي؟

نظر لي بعينين ناريتين وقال:

ـ"ليكن.. اجلسا ولا تحدثا صخبًا.. هذه الأمور حساسة جدًا"

قلت له في ثبات:

ـ"د.مهران.. أنت رجل ذكي كما هو واضح ومن المؤكد أنك تدرك أنني أشك في الأمر كله"

-"عرفت هذا من عينيك.. سوف ترين حالاً"

ثم أمرنا بالصمت..

ساد هدوء حذر وهو يستدعي روح الفقيد.. ثم تناول منشفة زرقاء وضعها على رأسه وراح يدمدم بكلمات معينة من خلفها.. الحق أن منظره كان مرعبًا وشعرت بقشعريرة..

فجأة تغير صوته..

سمعت صوتًا أخنف عميقًا من أصوات هؤلاء الذين يقلبون حرف (الراء) إلى (ياء).. الصوت يأتي من كل مكان ولا مكان.. واضح أن هذا صوت الزوج المتوفى..

الغريب أنه لم يكن يحرك شفتيه.. لم أر اختلاجًا على المنشفة..

-"عصمت.. أنت لم تطيعي أوامري.. لم تبيعي الفيلا.. "

هتفت العجوز في رعب:

-"لم يأت الوقت بعد يا شوكت.. إن المحامي.. "

دوى صوت الزوج غاضبًا:

-"ما شأني بالمحامين؟.. إن البيع هو الشيء الوحيد الذي

سينقذك مما هو قادم.. أنت لا تفهمين عالم الأرواح.. نحن نعرف كل شيء.. صدقيني.. الخطر كل الخطر أن تركبي رأسك.. هناك مشتر لا بأس به.. عليك بالبيع فورًا.."

-"سأفعل.. سأفعل.. "

كان الأمر مستفزًا.. هناك خدعة لكن لا أعرف ما هي..

هنا صحت في عصبية:

-"أرجو منك يا أستاذ شوكت أن تخبرنا برقم بطاقة زوجتك وتاريخ ميلادها ويوم زواجكما.. في أي يوم انجبتما ابنكما وفي أية مستشفى.. "

ساد الصمت ثم عاد الصوت يقول في عصبية:

-"من هذه؟.. كيف تجرؤين؟"

-"ما دامت الأرواح تعرف كل شيء فهذه الأمور تافهة بالنسبة لك"

عاد الصوت يقول:

-"في عالم الأرواح لا نعبأ بتفاهات كهذه...ولا نقبل الامتحان.."

قالت السيدة العجوز لي في نوع من اللوم:

-"أرجو أن تصمتي.. هل تعتقدين أن الأرواح تحفظ أرقام البطاقات الشخصية وأعياد الميلاد؟.. هذه ليست جهة حكومية يا صغيرتي.. "

تدخل د.مرزوق وهو الرجل الوقور الذي عرفت أنه ابن أختها وقال:

-"من حقها بعض الشك يا خالتي.. "

قلت في حماسة:

-"كل هذه التجربة ملفقة.. هناك جهاز إرسال واستقبال في مكان ما وهناك من يجيب عن الأسئلة.. "

قال د.(محمود) في هدوء:

-"هذا صوت زوج خالتي فعلاً.. لا يمكن أن نخطئ فيه"

-"إن صوته وطريقة كلامه سهلا التقليد جدًا.. أي شخص أخنف يخلط بين الراء والياء سوف يعطي ذات الانطباع.. بالإضافة إلى تشوش الصوت.. أعتقد أن هذا الأستاذ (مهران) يخفي جهاز استقبال ومكبر صوت في ثيابه"

قال د.محمود باسمًا:

ـ"قمنا بتفتيشه.. وهو قد قبل ذلك.. لا يوجد شيء من هذا.."

قلت في عناد:

ـ"سوف نشغل جهاز الراديو ونفتح صنبور الماء.. هذا يعطل أجهزة التنصت.. أراهنكم على أن الصوت سوف ينقطع!"

قال د.مرزوق باسمًا بطريقة من يخاطب طفلاً:

ـ"بالفعل سوف ينقطع.. من قال غير هذا؟.. لكن لأسباب مختلفة.. إن تجارب الاستحضار حساسة جدًا لأية ضوضاء وسوف ترحل الروح.."

هنا شعرت بشعور غريب.. هناك من يتكلم في رأسي.. هناك من يأخذ بيدي..

أنا أعرف أنك في صفي.. أعرف أنك صادقة.. أعرف أنك قادرة على التقاط ما يعجز البشر عن التقاطه.. لهذا أستطيع الاتصال بك..

وهنا فهمت.. إن (شوكت) الزوج يكلمني!

شعرت بمن يجذب يدي.. كأنني أطير.. أطير.. هناك غرفة ضيقة في مكان ما من الحي، يجلس فيها رجل أصلع أمامه شطيرة وكوب من الشاي.. هناك سماعتان على أذنيه.. يتكلم في مكبر صوت..

يغير صوته ليصير أخنف فيه عيب في النطق.. إنه مصدر الصوت الذي نسمعه.. لا شك في هذا..

أعود محلقة.. هناك قوى خفية تجذبني جذبًا.. أدور حول المنضدة برغم أنني ما زلت جالسة حيث أنا.. أخيرًا أقف خلف د.مرزوق!.. ابن أخت السيدة..

إنه هو!

أنت قد عرفت كل شيء.. ساعديني.. لا تتركي (عصمت) تقع في الشرك وتضيع كل شيء..

أعود لوعيي حيث ما زالت التجربة مستمرة..

أقف في حدة وأقول:

ـ"د.محمود.. أرجو أن تأخذ د.(مرزوق) خارج البيت.. الآن!"

نظر لي الكل في دهشة.. وكاد مرزوق يحتد لكن د.محمود جذبه من يده مهدئًا.. هذه فتاة مجنونة فلنطعها.. هكذا خرج الرجل وهو ينظر إلى الخلف غير مصدق..

بعد دقيقة ساد الصمت..

قلت بلهجة منتصرة لـد.مهران الذي أخفى وجهه خلف

المنشفة:

-"لقد توقف الاتصال!"

قال بصوت مكبوت:

-"لقد أثرت غضب الأرواح!.. لا يمكن إجراء تجارب حساسة كهذه مع كل الصخب الذي تحدثينه"

هنا دخل د.محمود الغرفة وهو يمسك بيد ابن خالته.. وصاح بطريقة مسرحية وهو يلوح بشيء في يده:

-"انتهى الأمر يا خالتي.. مرزوق كان يحمل جهاز تنصت وسماعة صوت في جيوبه.. لم نشك فيه لأنه فوق مستوى الشبهات، لكنه كان صاحب الفكرة منذ البداية وهو من أقنع شوقي حمدان بهذه اللعبة.. دعك من أنه يعرف كل شيء عن زوجك ويمكن أن يكون كلامه مقنعًا.. هكذا تم ترتيب كل شيء.. كل ما يدور هنا ينقل عبر الجهاز لغرفة يجلس فيها رجل يستطيع تقليد صوت الفقيد، وتأتي الردود فتخرج من سماعة مثبتة في ياقة قميصه من الداخل.."

نظرة واحدة على وجه الدكتور مرزوق قالت بوضوح إنه الفاعل وكل هذا صحيح..

وشهقت مدام (عصمت) :

ـ"هل كنت تخدع خالتك كل هذا الوقت؟"

قال د.محمود:

ـ"إن ثمن هذه الفيلا بأسعار اليوم مغر جدًا، حتى بعد خصم أتعاب الخبير الروحاني والسعر الذي كنت ستتقاضينه فعلاً وعمولة د.مرزوق عن هذه الخدعة"

ثم صاح بصوت آمر:

ـ"لو سمحت لي يا خالتي.. سأطرد هذين النصابين.."

ثم نظر لي وقال:

ـ"كنت أعرف أن حاستك ستتصرف.. "

قلت في حياء:

ـ"تلقيت مساعدة خارجية.. لكنك لن تصدقني على كل حال!"

هل قتلها؟

أمسية هادئة هي أمام جهاز التلفزيون.. أقبع كقطة هانئة جوار أبي الذي يقضي معنا إجازته القصيرة، بينما أختي تقبع في الجهة الأخرى.. في هذه الفترات لا يصير أبي من حق أمنا على الإطلاق.. لا تستطيع الاقتراب منه إلا لو دفعتْ ثمن التذكرة.. لا تظفر به إلا عندما نخرج للكليات أو العمل أو ننام.. فيما عدا هذا هو ملكنا..

أبي رقيق حنون ومهذب.. أبي أجمل رجل في العالم، وإنني أتساءل لماذا لا أقابل أبدًا رجلاً مثله.. لماذا لا يحمل باقي الرجال طباعه وملامحه؟

صديقتي (صفاء) تقول إن السبب هو أنه بعيد وبالتالي عزيز جدًا.. يشبه الضيف الذي يزور غبًا فنفتقده طيلة الوقت..

تذكرت (صفاء) ويبدو أن السبب يعود لحاستي العبقرية إياها.. لقد دق جرس الهاتف طويلاً، فرفعت أمي السماعة وسمعتها تقول في

قلق:

ـ"ماذا؟.. تماسكي يا ملاكي قليلاً.. أرجو أن تهدئي! "

نظرنا بفضول لنعرف ما المشكلة، لكنها لم تقل شيئا.. فقط قالت:

ـ"هند.. هذه صفاء.. "

ونظرت في عيني وناولتني السماعة دون كلمة أخرى كأنها تفضل أن أسمع بنفسي..

تناولت السماعة بقلب واجف، فجاء صوت صفاء الباكية:

ـ"هند.. أمي ماتت في حادث! "

ثم انفجرت في البكاء.. حتى إنني انفجرت بدوري..

هرعت لغرفتي ألبس ثيابي.. وأصر أبي على أن يرافقني لأن الليل قد جاء.. ارتدى ثيابه بسرعة البرق، وسرعان ما كنا ننطلق في سيارة أجرة إلى بيت صفاء صديقتي..

كان الوضع هناك في غاية السوء كما لك أن تتخيل..

أم صفاء مطلقة.. انفصلت عن أبي صفاء منذ أعوام، وتقيم صفاء عند أبيها الذي لم يتزوج ثانية.. لا أعتقد أن أحد الطرفين مخطئ أو

آثم.. إنه سوء تفاهم معتاد بين الناس الطيبين لأسباب مجهولة.. أمها من الطراز شديد الحساسية والتوتر.. كتلة أعصاب تمشي على قدمين..

لقد تزوجت بعد الطلاق من ذلك الوغد المغرور (هشام).. يزعم أنه محاسب ويزعم أنه مدير دعاية ويزعم أنه رجل أعمال.. الخلاصة أنك لا تعرف عمله بالضبط. على الأرجح هو أفاق..

إنه مطلق بدوره، لكن بوسعك أن تدرك بسهولة أنه لا يناسبها على الإطلاق.. أنا لا أعرفه جيدًا لكن (صفاء) تقول إنه مبذر وكسول يهوى إنفاق ثروة أمها.. أمها ثرية جدًا ومن أسرة ذات أملاك واسعة.إذن الأمر لا يتعلق بحب مرهف يحمله الرجل لها، لكنه ببساطة قرر أن ينسج شباكه حول المطلقة الثرية ليأخذ كل مليم معها.. وهو ما لم يحدث لأنها كانت ذكية وعرفت كيف تعطيه المال بالقطارة.. برغم هذا كانت تحبه فعلاً..

ألقت صفاء برأسها على صدري وراحت تبكي، بينما جلس أبي في حرج بعض الوقت مع الرجال ثم قال لي همسًا:

-"لا يبدو الوقت مناسبًا لرحيلك.. هل تحبين قضاء الليل معها؟"

-"بالتأكيد.. "

ـ"حسن.. سأنصرف ولنكن على اتصال.. "

وهكذا ضممت صفاء ومشينا وسط غابة اللون الأسود إلى غرفتها..

جلست على الفراش، وقالت لي في حرارة:

ـ"كانت تقود السيارة على طريق المحور بسرعة جنونية ثم انقلبت.. هذا شيء غير متوقع من أمي.. إنها سائقة بارعة.. يقولون إنها تصير رجلاً عندما تقود.. "

ـ"وماذا تريدين قوله؟"

ـ"هذا الوغد.. زوجها.. هناك لعبة ما.. أنا أعرف أنه قرر التخلص منها.. لم يكن لديه حل أكثر رقة.. لا شك أنه اتلف الفرامل أو وضع لها مخدرًا ما.. "

قلت في أسى:

ـ"يا عزيزتي لسنا في فيلم بوليسي هنا.. "

ـ"كل شيء يشير لذلك.. لقد أراد قتلها والظفر بالميراث وقد فعل.. "

رحت أفكر قليلاً ثم سألتها:

ـ"متى وقع الحادث؟"

ـ"في الثامنة مساء.. كانت متجهة للمعادي"

هكذا مرت الليلة لكني قررت أن أقابل (هشام) هذا في الصباح.. يجب أن أراه ولسوف أعرف..

كان النهار قاسيًا على الجميع، وعند الظهيرة تحرك رتل من السيارات إلى المستشفى لتسلم الجثة.. ما تبقى منها..

وكانت صفاء تبكي بلا انقطاع، عندما ظهر رجل من مكان ما وناولها جهاز محمول صغيرًا أنيقًا وقال:

ـ"هذا هو المحمول الخاص بها.. لقد نجا من الحادث ووجده رجال الإسعاف.. "

ناولته لي صفاء قائلة:

ـ"أرجو أن تبقيه معك.. ليست لدي أعصاب تسمح بأن.."

ومن مكان ما ظهر رجل وقور وسيم لكن عينيه مخادعتان.. هذا واضح تمامًا.. إنه (هشام) لا شك في هذا.. تقدم نحو (صفاء) وصافحها:

ـ"صفاء.. تماسكي يا عزيزتي.. كلنا سوف نلقى المصير ذاته.."

أنصتت له وهي لا تصدق حرفًا مما يقول.. ثم استدار نحوي

ليصافحني وهو ينظر في عيني..

هذا الرجل غير صادق.. أعرف هذا جيدًا الآن.. أعرف كذلك أنه يكذب.. ولكن كيف؟

رحت أرقب المشاهد القاسية مفكرة.. يجب ان أعرف الحقيقة.. هل لو طلبت من الشرطة فحص السيارة بعناية للتأكد من حدوث تلف متعمد؟.. ربما تحليل دم الفقيدة قد يظهر وجود مخدر ما؟.. كانت تقود السيارة بينما وعيها يتسرب وتركيزها يقل.. بعض الأدوية ذات الآثار الجانبية المخدرة تزيد من خطر الحوادث بشكل غير مسبوق.. ربما..

لكن وقت الحصول على عينة من دمها قد فات.. إن الموكب يتجه إلى المقابر..

كنت أدس يدي في حقيبتي عندما وجدت جهاز المحمول.. هناك شيء ما يتعلق بهذا الجهاز.. طاقة نفسية غريبة تحيط به.. أشعر بها.. أرى الطريق الدائري.. أرى وابلاً من السيارات.. أرى.. الطريق ينحرف وأنا احلق في الهواء.. لقد فقدت التحكم في نفسي..

هذه هي المشاهد التي عاشها المحمول المسكين لجظة النهاية..

تفحصت أرقام الهاتف.. لقد كان آخر رقم طلبها هو (هشام).. (هشام).. الاسم يتكرر ست مرات.. لقد طلبها كثيرًا جدًا حتى أجابت..

من طلبته هي؟.. (هشام) أيضًا.. متى؟.. الثامنة إلا دقيقتين.. قبل الحادث مباشرة..

لقد كان الاتصال به آخر شيء فعلته في حياتها.. لكن لماذا؟..

استعمال المحمول أثناء القيادة خطر فعلاً.. هي كانت تعرف هذا.. لهذا تجاهلت خمس مكالمات منه ثم اضطرت للرد على السادسة..

ولكن.. يا إلهي.. بدأت أفهم..

أضع سماعة المحمول على أذني.. أوشك على سماع ما قيل.. إنه يعرف أنها على الطريق تقود سيارتها بسرعة 120 كيلومترًا في الساعة وسط زحام السيارات وفي طريق خطر فعلاً.. يطلبها مرارًا بإلحاح غريب.. في المرة السادسة ترفع السماعة في حذر وعيناها على الطريق الخطرة. تسمع الصوت المتألم المبحوح:

ـ"هالة.. أنا.. أنا.. جريح "

تسأله في ذعر:

-"هشام.. ماذا حدث؟"

-"حادث.. أنا موشك على الموت وأنزف من كل.."

ثم ينغلق الخط.. ترتجف وقلبها يتواثب.. تضغط لا شعوريًا على دواسة البنزين أكثر.. تطلب رقمه فيرد:

-"أنا أموت.. وداعًا.. سامحيني.."

تصيح في جنون والدموع تغرق وجهها:

-"هشام.. أين أنت؟"

-"أنا في.. أنا في.."

في هذه اللحظة كانت قد فقدت التحكم في عجلة القيادة.. سيارة تمر بجوارها بسرعة البرق فتميل لتضربها ثم تميل للجهة الأخرى لتصدم سيارة نقل وتطير العجلات فوق الأرض..

دورة.. ودورة.. ثم الظلام النهائي..

أعرف هذا كله وأراه..

يتصاعد الدم لرأسي وأتجه لهشام الذي يقف بالنظارة السوداء راسمًا الحزن على وجهه فأقول:

ـ"أنت نذل "

ـ"هل جننت؟.. من أنت لتكلميني بهذه الطريقة؟"

ـ"نذل وقاتل.. لقد تلاعبت بأعصاب هذه البائسة في وقت حرج.. جعلتها تجن وهي مندفعة بسرعة 140 كيلومترًا على طريق خطرة.. الدموع جعلتها لا ترى وكادت تفقد الوعي بينما انت تمثل تمثيليتك القذرة وتتظاهر بأنك جرحت في حادث! "

نظر لي في ذهول ثم فضل أن يسمعني حتى النهاية فقلت:

ـ"لو لم يحدث لها شيء، كنت ستزعم إنك كنت تمزح مزحة سخيفة.. لو حدث لها شيء فأنت قد ربحت.. إنها الجريمة الكاملة فعلاً ولا أحد يستطيع اتهامك بشيء.. "

قال لي ببرود:

ـ"حسن.. لتكن جريمة كاملة.. ما المطلوب مني؟.. أنت قلت إنه ما من أحد يستطيع اتهامي بشيء."

لقد وجد أن الإنكار متعب.. من الواضح تمامًا أنني أعرف ويعلم الله وحده كيف حدث ذلك، لكنه على الأقل مطمئن أنه لا جدوى من معلوماتي..

قلت له ضاغطة على كلماتي:

-"لقد كنت بارعًا.. لكن دعني أؤكد لك إن الجريمة الكاملة لا وجود لها.. سوف تلقى عقابك.. لا أعرف كيف ولا متى.. لكني أعرف أنك ستلقى عقابك"

وفضلت أن أترك الجميع فلا أحضر الجنازة..

سوف أعود لداري وأبكي طويلاً على شر البشر ونذالتهم..

على أن صفاء اتصلت بي بعد ثلاثة أيام.. كان صوتها مبحوحًا منفعلاً..

قالت لي وهي تشهق:

-"هل تصدقين أن (هشام) لاقى المصير ذاته؟"

-"أي مصير؟"

-"لقد كان يقود سيارته بسرعة جنونية ليلاً فانقلبت.. تخيلي هذا؟.. ثلاثة أيام بعد مصرع أمي؟.. ما رأيك؟.. هل أحبها لدرجة أنه لحق بها بسرعة؟.. أم أن القدر أراد أن ينتقم لي لأنه قتلها فعلاً؟"

تنهدت طويلاً ثم قلت:

-"لا أعرف.. فقط أعرف أن الله تعالى عادل.. لا أعتقد أنك

مسرورة برغم هذا"

ـ"موته لن يعيد لي أمي.. لكنه يريحني نوعًا لا أنكر هذا.. "

ووضعت السماعة مفكرة..

لو كنت خبيرة نفسية لقلت إن الرجل أراد أن يُعاقب.. ضميره عاقبه فقاد سيارته شارد الذهن.. ولقي نفس نهاية زوجته.

لكن هناك احتمالاً آخر لا أعرف مدى صدقه.. قوتي النفسية تدخلت وجعلت عجلة القيادة تختل في يده، أو تدخلت وملأت ذهنه بالاضطراب في لحظة خطرة كهذه..

لا أعرف حقًا..

لقد تلقى عقابه.. قليل من الناس يعرفون أنه تلقى عقابه، وأن وفاته ليست مصادفة مأساوية بل هي حكم بالإعدام استحقه عن جدارة..

فليرحم الله أم صفاء.. لقد نالت انتقامها.. وعرف (هشام) أن الجريمة الكاملة لا وجود لها.

النذيـر.

قال لي الدكتور (محمود الألفي) الطبيب النفسي الكبير:

ـ" بالطبع موضوع الأريكة وجهاز التسجيل هذا يبـدو جمـيلاً في السينما، لكننا لا نعمل به.. طريقة التحليل النفسي نفسها قد تطورت جدًا.."

تنهدت ونظرت للسقف في عيادته وقلت:

ـ"خسارة.. كنت أحب هذا المشهد جدًا في أفـلام (فـاتن حمامـة) و(عماد حمدي) القديمة.. الظلال والجو الغامض والشعور بأنـك ترتـاد أدغال النفس المظلمة"

ابتسم في شيء من السخرية، وعاد يقول:

ـ"لنكمل كلامنا.. قلت إنك جئت لي لأنك؟.."

ـ"لأنني خائفة لدرجة الموت.."

عبث بالقلم الذي في يده في قاعدة المصباح البرونزي الموضوع على المكتب، وقال في شرود:

ـ"كل هذا من رؤيا طائرة.. "

ـ"طائرة تسقط.. تخترق السحب وتسقط بسرعة هائلة ولا أحد يقدر على أن ينقذها.. "

ـ"أنا شخصيًا حلمت أمس بمنطاد محترق يهوي.. "

قلت في غيظ:

ـ"د.(محمود).. أنت تعرفني الآن بما يكفي، وتعرف أن تلك الرؤى الغامضة التي تطاردني لها أساس من الصحة.. لست مجرد فتاة هستيرية تهذي.. أنت تعرف موهبتي الغاضة تلك.. هناك بالفعل طائرة سوف تهوي.. "

ابتسم ثم أشعل لفافة تبغ، برغم أن المكان ضيق وخانق، وبرغم أن على الطبيب النفسي ألا يضايق مرضاه بالتدخين.. آخر من فعل هذا كان (فرويد) نفسه على ما أظن..

قال لي وهو ينفث سحابة كثيفة:

ـ"أرى أنك تتجاوزين الحدود التي نعرفها.. لا أحد يملك

القدرة على التنبؤ.. لا أحد يمكنه أن يرى الغد.. إن موهبة الاستبصار لا وجود لها.. المنطق البسيط يقول هذا وإلا لكان صاحب موهبة الاستبصار أغنى وأقوى رجل في العالم. هناك قصة قديمة لمارك توين عن فتى أمريكي استطاع أن يعرف أن الحرب نشبت في أوروبا، وكان هذا قبل عصر اللاسلكي والمذياع والفضائيات والإنترنت.. ذهب لتاجر أصواف وأخبره بالخبر، فاشترى التاجر كل الصوف في السوق عالمًا أن سعره سيرتفع جدًا عندما يعرف الجميع بقصة الحرب.. هكذا صار الفتى والتاجر مليونيرين.لم يملك الفتى قدرات خارقة.. فقط شق بطن سمكة قرش وجدها على الساحل فوجد داخلها جريدة بريطانية تعلن نبأ الحرب.. هكذا عرف الخبر قبل أن تعرفه أمريكا بشهر كامل.. هل تفهمين ما أريد قوله؟.. من ير الغد يمكنه بسهولة أن يكون الأغنى والأقوى.. لاستكثر من الخير ولما مسه الضر أبدًا"

قلت مقتنعة بكلماته:

-"نعم.. موافقة تمامًا.. لكن ماذا عن رؤيا الطائرة التي لا تصغي لما تقوله ولا تقتنع بمنطقك؟.. المشهد يطاردني في كل ركن.. عندما أصحو من النوم وعندما أدخل الفراش.. وأنا آكل وأنا أدرس.."

سألني وهو يدون ما قلت في كراس:

ـ"لماذا لا تتجاهلين الأمر؟"

تنهدت وقلت:

ـ"ليس عندما يتعلق الأمر بأسرتي.. أختي مع صديقاتها في شرم الشيخ.. الخطر الحقيقي يتمثل في أبي وأمي.. إنهما ذاهبان للعمرة غدًا، ولهذا أرسلاني وأخي عند خالي.. إنهما سيركبان الطائرة غدًا.. هل تفهم؟"

قال من دون أن ينظر لي:

ـ"لو كنت مكانك لقلت لنفسي إنني لا أفقه شيئًا.. لا أحد يستطيع التنبؤ.. لا يمكنك أن تفسدي على أبويك هذه الرحلة الروحية المتعة بسبب هواجس.. أرى أن تنسي الأمر.. وخلال عشرة أيام سيكونان هنا معك ويمكنك أن تقصّي عليهما هذه القصة.."

نهضت شاكرة له.. لم يقل سوى ما انتويت أن أفعله، لكنني كنت أريد تأكيدًا آخر..

لا أستطيع أن أبدأ في الصراخ والهستيريا وأتوسل لأبوي أن يلغيا الرحلة.لن يفهما سببَ جنوني.. أمي تنتظر هذه الرحلة منذ ثلاثة أعوام.. لنقل إنني حمقاء.. هذا هو التفسير الوحيد..

على إنني ظللت أدعو الله أن يحدث ما يعطل الرحلة.. دعوت الله وأنا أحزم حقائبهما.. دعوت الله وأنا أركب معهما السيارة.. دعوت الله وأنا في المطار.. انتظرت أن يعلن مكبر الصوت إلغاء الرحلة بسبب سوء الأحوال الجوية، لكن الطقس كان في أروع حالاته..

قبلتهما دامعة.. لو كانت هذه آخر مرة فلسوف أموت.. نعم.. لا شك في هذا..

كان الوقت عصرًا وأنا عائدة من المطار في سيارة خالي.. ظللت ساهمة شاردة.. لو اتضح أنني عبقرية وجاءتني المكالمة التي أخشاها فلسوف...

خالي لم يفهم طبعًا.. حسب أني حزينة بسبب الفراق الذي لن يطول.طبعًا لا أحد يخبر الآخر بهواجس كهذه، ومزية د.(محمود) هي أنه ليس من الأسرة.لهذا يحكي السكارى في الغرب قصة حياتهم كاملة لأي غريب يجلس جوارهم في البار، بينما زوجاتهم لا يعرفن عنهم أي شيء.

في بيت خالي بدأت أخرج حاجياتي وحاجيات أخي من الحقيبة، فلسوف أقيم وأخي في ذات الغرفة.. سوف يتصل بي أبي

لدى الوصول وحتى ذلك الحين سأجن قلقًا.. وسيكون علي أن أجن مرة أخرى لدى قرب عودتهما..

هنا دق جرس الهاتف الجوال.. دقة طويلة منذرة..

وضعت الهاتف على أذني، فسمعت (غيداء) صديقة أختي.. صوتها متقطع من الرعب..

-"إنها.. في المستشفى.. اشتباه التهاب بالزائدة الدودية.. لا أعرف ما..."

هنا بدأت أفهم.أختي في رحلة مع الكلية في شرم الشيخ كما قلت.. وهناك أصيبت بوعكة صحية.سوف يدخلونها غرفة الجراحة بعد ساعة لاستئصال الزائدة الدودية.. يا للهول!.. المصائب لا تأتي فرادى!..

ولكن.. شرم الشيخ تعني عشر ساعات تقريبًا بالحافلة.هذا وقت أطول من اللازم.خالي سمع صياحي في الهاتف فركض ليفهم.. لم يحتج إلى شرح كثير لأن كلماتي كانت تنطلق مفسرة كل شيء..

انتهت المكالمة فأغلقت الهاتف.. لابد أن لوني كان بلون الورق.. لابد أن دموعي كانت تبلل كل شيء.. لا يمكن أن تظل أختي وحدها..

كان خالي مرتب التفكير.. رفع السماعة واتصل بشركة طيران..

ثم راح يشرح لي باسمًا بينما هو ينتظر رد موظفة الشركة:

ـ"طائرة.. سوف نكون في شرم الشيخ خلال نصف ساعة.. سوف نلحق بها قبل أن يدخلوها غرفة الجراحة.. لا تقلقي.. "

وسرعان ما كنت أهرع بثيابي التي لم أستبدلها إلى المطار.. ولا أعرف متى ولا كيف وجدت نفسي في الطائرة التي راحت تنهب أرض المطار محاولة أن تختلس لحظة ترتفع فيها..

لم ألحظ حتى هذه اللحظة أنني لم أركب طائرة قبل اليوم.. كنت أفكر في أن هذا كله كثير.. كثير جدًا.. لا يوجد جهاز عصبي يتحمل كل هذا القلق..

نصف ساعة أعرف بعدها مصير أختي، ثم أطمئن على أبي وأمي.. فجأة أشعر بأنني وحيدة جدًا.. حفظك الله لي يا خالي.. فلولاك لجننت..

مرت عشر دقائق..

فجأة شعرت بالطائرة تهتز بقوة غير عادية.. صوت الطيار يقول في مكبر الصوت:

ـ"نرجو ربط الأحزمة وعدم مغادرة المقعد"

وأغلقت أنوار الطائرة ما عدا صوت الرنين المتقطع (بيـب بيـب) الذي يوحي بكارثة. المضيفة تمشي بين المقاعد مكررة:

ـ"كل شيء على ما يرام.. لا تقلقوا.. "

لكن صوتها مرتجف قليلاً والخوف في عينيها.. لا تنظر لنا مباشرة.. لاحظت كذلك أن خطوتها غير ثابتة.. الاهتزازات أقوى منها برغم أنها معتادة هذه الأمور.إذن الوضع فريد من نوعه..

نظر لي خالي وتنهد وغمغم:

ـ"ربنا يستر.. "

ثم أحد الجالسين خلفي يقول:

ـ"محرك معطل.. صدقيني.. أنا طيار سابق...أنا متأكد.. "

ـ"ش ش ش!"

هنا بدأت أرتجف.. إذن الرؤيا لم تكن تخص أبي وأمي بل كانت تخصني أنا!.. أنا من ستهوي الطائرة بها إذن!.. برغم كل شيء اشعر براحة.. فلأذهب أنا حيث ألقت ما دام أبواي بخير.. فقط أريد أن أطمئن على أختي.. ولكن.. ما ذنب خالي المسكين؟.. هل سيدفع ثمن

شهامته؟.. وهل كنت أفضل أن تكون الطائرة التي تسقط طائرة أبي وأمي؟

لحظات عسيرة مرت علينا في ظلام دامس وتوتر وصمت لا يقطعه سوى صوت بكاء ومن يتلو الشهادتين..

وفجأة عادت الإضاءة، وعاد صوت الطيار يقول في مرح:

-"كان هناك خلل بسيط وقد تم إصلاحه.. لكن نرجو الاستمرار في ربط الأحزمة.. نحن على وشك الهبوط في مطار شرم الشيخ"

تنهد الجميع في راحة.. وتعالت الضحكات.. وسرعان ما كانوا يغادرون الطائرة في لهفة كأنهم يخشون أن تغير رأيها وتقلع ثانية..

استوقف خالي سيارة تاكسي وسرعان ما كنا ننطلق للمستشفى حيث كانت صديقات أختي ينتظرننا.. ذهلن لأننا وصلنا بهذه السرعة، ثم التففنا حول البائسة المتألمة نطمئنها..

هنا دخل أحد الأطباء الغرفة وأعلن في حماسة:

-"لا توجد زيادة في كرات الدم البيضاء.. "

-"وهذا يعني؟"

-"يعني أن الزائدة غير ملتهبة.. هذا التهاب في المبيض سوف

يزول ببعض الحقن المضادة للالتهاب مع المضادات الحيوية.. لا داعي للجراحة إذن"

هكذا انزاح عن كاهلي ثقل رهيب..

وقفت ألهث.. هناك تفاصيل كثيرة في ذهني لكني نسيتها.. نسيت علام أقلق بالضبط.. لهذا جلست على أقرب مقعد ورحت أبكي.. أبكي بكاء من تمزقت حبال أعصابه.. دمية الماريونيت التي قطعت خيوطها..

الهاتف يرن من جديد.. أستر يا رب.. هذا أبي يقول لي بصوته البعيد:

ـ"نحن قد وصلنا والحمد لله.. لا أحد يرد في بيت خالك.. لقد قلقنا عليك جدًا"

طبعًا لا استطيع أن أخبره أنني في شرم الشيخ.. مهما فعلت فلن يصدق أن أختي بخير. هكذا قلت له إننا كنا نائمين.. كل شيء بخير.. كل شيء بخير...

قال لي خالي إن بوسعنا أن نتنزه قليلاً في هذا البلد الساحر إلى أن يجد طائرة نعود بها إلى القاهرة.لكني رفضت أن أترك المستشفى إلا

مع أختي..

وجلست في الاستراحة جوار غرفة أختي أفكر.. واضح طبعًا أنني لا أملك حاسة الاستبصار إن كان لها وجود. لا يمكن التنبؤ بالمستقبل أبدًا مهما كانت موهبة المرء..

لكني لم أعتد هذه الدرجة من الخداع من نفسي.. إما أن أقبل هذه الحقيقة أو أنتظر في قلق رحلة عودة أبي وأمي.. أفضل بالطبع أن أفترض أنني هستيرية مخبولة..

لم أعرف الحقيقة إلا عندما عدت إلى القاهرة في الغد..

عندما أخرجت حاجياتي من الحقيبة وجدت رزمة من إحدى المجلات السينمائية كنت قد جلبتها لأقرأها في بيت خالي.. هذه المجلات كانت جوار فراشي في البيت وكنت أراها طيلة اليوم. هناك إعلان ثابت على الغلاف الأخير لأكثر هذه المجلات عن فيلم كوارث أمريكي يباع في أقراص (دي في دي). تلك الأفلام التي تسقط فيها الطائرات بلا توقف.. هناك في الإعلان صورة طائرة مشتعلة تهوي نحو المحيط..

كنت أرى هذه الصورة طيلة اليوم ولا أستوعب كنهها.. هنا

لعب عقلي الباطن لعبة خبيثة معتادة.. استغل قلقي من سفر أبي وأمي ومزج هذا القلق برؤيا الطائرة الساقطة. أي شخص آخر كان سيتجاهل الرؤيا أما بالنسبة لي فقد كانت تحمل نذيرًا مرعبًا..

لقد مر كل شيء بخير، وعلي أن أقبل هذا التفسير.. أما لو لم أقبله فلسوف يكون علي أن أنتظر في رعب عودة أبي وأمي بالطائرة..

أنا انتظر تلك اللحظة في قلق.. أؤمن أنه لا أحد يقدر على رؤية الغد، لكني برغم هذا أنتظر في قلق.. وأدعو الله أن يكون تفسير العقل الباطن هذا هو الصحيح.

البيت .

القصة دائمًا هكذا..

يقـول لـك السمـسار وهـو ينظـر لجهـة أخـرى كـي لا تتلاقـى العينان:

-"الفيلا ممتازة.. موقع رائع وسعر يدير الرءوس.. بـصراحة لا تصدق هؤلاء الحمقى الذين يتكلمون عن.. صدقني أنا.."

ويقول لك البواب النوبي الذي يحرس الفيلا المجاورة:

-"أنا لم أر شيئًا.. لكن القصص كثيرة.. نـسمع أصـواتًا في الليـل لكن هذا لا يدل على شيء.. "

بينما يقول لك بائع السجائر على قارعة الطريق:

-"لا دخان من دون نار.. عندما تكثر الشائعات فهنـاك بـصيص ما من الحقيقة"

تسمع كل هذا وتفكر مرة ومرتين..

كان هذا هو الوضع بالضبط عندما عاد ابن عمي من الخارج.ابن عمي (شريف) في الأربعين من عمره، وقد قضى عشرين عامًا يجمع المال بانتظار أن ينفقه في العشرين سنة الباقية له لو عاش.تزوج مؤخرًا ويحب زوجته فعلاً، لكنها لم تعد مستريحة للإقامة مع أهل زوجها، كما أنها سئمت الفنادق التي ينتقلان فيها؛ لهذا طلبت مسكنًا منفصلاً.. تريده في المعادي.

أبي قال له إن زوجته مجنونة.. أسعار ضاحية المعادي الراقية فلكية فعلاً.. لم يعد أحد يتكلم عن الحياة هناك، فلم يعد يقيم بها سوى الذين امتلكوا بيوتًا في العصور الغابرة الرخيصة..

لكن ابن عمي بحث وبحث.. ثم وجد هذه الفيلا..

سعرها لا يصدق.. يقترب كثيرا جدًا من سعر شقة في وسط القاهرة.. بالطبع طار فرحًا وراح يقابل هذا السمسار وذاك غير مصدق..

كنت أعرف أن هناك شركًا ما.. بالتأكيد هناك واحد..

صارحته برأيي عندما زارنا ذلك اليوم، فقال لي:

-"هكذا أمثالك ممن تقرع الفرصة بابهم فيشتكون من الضجيج..

هل تعرفين لماذا لم يظفر أحد بهذه الجوهرة؟.. لأنهم يقولون لبعضهم: هناك سر ما.. ويحجمون.. ثم تبدأ الحلقة المفرغة الجهنمية: لا أحد يشتري هذه الفيلا.. إذن هناك سر ما.. هكذا لا يشتري أحد هذه الفيلا.الحلقة المفرغة لابد من تحطيمها في نقطة ما.. وأنا هذه النقطة.."

كان من الممكن أن أتركه وشأنه...لولا أن صديقتي (ميادة) وهي من سكان المعادي زارتني في ذات اليوم..

كنا جالستين في حجرتي نثرثر...طبعًا تكلمني عن خطابها وعن حيرتها بين (عادل) و(حمدي) وعن وعن.. عندما قالت لي:

-"تلك الفيلا المسكونة في آخر شارعنا.. الفيلا التي لا يشتريها أحد"

صدفة غريبة فعلاً.. هكذا تربعت ودنوت منها أسألها عن تفاصيل أكثر، فقالت:

-"يبدو أن هذا حدث في الستينات.. كان يعيش فيها مهندس وزوجته وأولاده.. لا نعرف كيف ولا لماذا جن الرجل أو فقد صوابه.. يقال إنه قتل أسرته كلها ثم تخلص من الجثث.. لا أحد يعرف أين ولا كيف، لكننا نعرف أنه قتل نفسه بطلقة في رأسه.. يبدو أنه قرر أن

يرتكب جريمة كاملة ونفذها فعلاً.. ظل أسبوعًا يزعم أن أسرته سافرت وأنه سيلحق بها بعد أيام.. لكن ضميره لم يرحمه لحظة وهكذا قتل نفسه.. من هنا أدرك الجميع أن هناك جثثًا في الفيلا على الأرجح وبدأت عمليات الحفر والتنقيب بلا جدوى.. في النهاية أغلقت القضية ونسى الناس الأمر.فقط ليبتاع أحدهم الفيلا بعد أعوام.."

ـ"وماذا حدث؟.. يمكنني أن أتخيل.. "

ـ"أنت تعرفين فعلاً.. الأصوات في الردهة.. الطرقات على الزجاج.. الأطفال الذين يصرخون في القبو.. الوجه المشوه الذي يلتصق بزجاج النافذة وينظر لك.. كل هذا وأكثر حتى أضطر الساكن الجديد إلى حمل متاعه وأطفاله والفرار.. وهكذا بدأ رعب الفيلا.. "

سألتها في خبث:

ـ"وهل تصدقين هذا السخف؟"

مطت شفتها السفلى وقالت:

ـ"كيف لي أن أعرف؟.. هذا ما يقال وقد صارت له قوة الحقيقة.. "

عندما انصرفت (ميادة) جلست أفكر في كلامها طويلاً.. لو

صحت القصة فأرواح هؤلاء القتلى الأبرياء ما زالت موجودة هناك وهذا معناه أنهم مدفونون في الفيلا فعلاً.. أما لو صرنا أكثر علمية قليلاً لقلنا إن الطاقة النفسية الناجمة عن العنف ظلت في ذلك المكان تتردد للأبد.. لو صرنا أكثر علمية من هذا لقلنا إنها خرافة حضرية شائعة..

اتصلت بابن عمي وقلت له ما سمعت..

عاد يقول في ثقة:

ـ"هذا سخف.. "

هنا خطر لي خاطر جريء.. ماذا لو ذهبت معه إلى الفيلا لأراها على الطبيعة؟.. لو كانت هناك قوى نفسية فعلاً فمن أجدر الناس بالإحساس بها؟.. أعرف فتاة نحيلة في كلية التجارة تملك قوى نفسية عجيبة.. مشكلة هذه القوى أنها لا تأتي حسب الطلب لكن حسب مزاجها الخاص..

في اليوم التالي كنت في سيارة ابن عمي أركب في المقعد الخلفي، وزوجته تركب جواره، منطلقين إلى المعادي..

كان السمسار هناك أمام باب الفيلا، وقد وقف يثرثر مع أحد البوابين، فلما رآنا فتح البوابة واقتادنا إلى حديقة مهملة متشابكة

الأشجار طويلة الأعشاب امتلأت بالمهملات..

ـ"لاحظوا أن الحديقة لم تمس منذ أعوام طوال.. هذه ليست مشكلة لأن أي بستاني يمكنه أن يجعلها جنة خلال أسبوعين.. "

أسرة من القطط شعرت بنا ففرت.. سحلية وثبت فوق قدمي وتوارت.. ونحن نمشي عبر ممر طوبي مغطى بالتراب.. هناك كانت البناية ذاتها تنتظرنا..

مد السمسار يده وفتح لنا الباب..

الرائحة التي شممناها لم تكن تمت لهذا العالم.ليست رائحة عفن أو عطن بل رائحة قديمة.. لابد أن (كارتر) شمها وهو يفتح مقبرة توت عنخ آمون..

دخلت من الباب ومنذ اللحظة الأولى عرفت أن القصة صحيحة..

لا شك في هذا.. انتهى الأمر بالنسبة لي.. لم ألق في حياتي مكانًا يعطي كل هذا الحشد من الصور والرؤى والأصوات.. كأنني في مدينة الملاهي...أشياء كثيرة جدًا حدثت هنا..

رحت أدور حول الجدران بينما (شريف) يثرثر مع السمسار.. يسأله عن مهندس جيد يتولى أمر تجديد هذا المكان..

أسمع الصوت يتردد في ذهني:

-"ساعديني.. ساعديني.. أنا أعرف أنك تسمعين.. ساعديني.."

شعرت برجفة.. الصوت يخاطبني فعلاً عبر الأبعاد والأزمان.. هناك شيء ما..

-"في العلية.. في العلية.. "

وضعت يدي على جبهتي لأن الصداع كاد يقتلني..

استدرت لأسأل السمسار:

-"هل هناك علية هنا؟"

بدا عليه الغباء.. قال في حيرة:

-"لا أعرف.. لماذا تسألين؟.. اهتمام غريب حقًا.. "

-"أريد أن أرى.. "

ومشيت إلى ركن القاعة نحو ممر جانبي ضيق فدخلته.. هناك في نهاية الممر سلم حديدي شبه رأسي يتجه لأعلى. إذن هذا يقود للعلية.. لكن الظلام دامس فكيف أرى؟

مددت يدي لحقيبتي فأخرجت الهاتف الجوال وفتحته فبعث

ضوءًا شاحبًا.. لن يطول الأمر على كل حال.. تسلقت الدرجات الحديدية العمودية بصعوبة إلى أن بلغت قمة السلم.. هناك كوة مغلقة أزحتها بيدي فانفتحت.رفعت الجوال بينما الصوت يدوي بلا انقطاع:

-"ساعديني.. ساعديني.."

هنا سمعت صرخة.. تصلبت للحظة ثم سمعت زوجة ابن عمي تقول بصوتها الرفيع المزعج:

-"هناك شيء.. رأيت من يعبر هذه الردهة!!"

-"أنت واهمة بالتأكيد.. "

لكني كنت أعرف أنها على الأرجح ليست واهمة.. حشرت جسدي داخل الكوة فوجدت أنني في علية ضيقة ترغمك على الانحناء.. نسيج عنكبوت وغبار ورائحة خانقة لكن لا فئران.. شعرت بحاستي أنه لا فئران.. هناك نافذة عليها ستار كثيف في ركن المكان.. اتجهت نحوها ومزقت الستار فتسرب بعض من ضوء النهار الشحيح واستطعت أن أرى..

هناك صناديق.. صناديق.. صناديق..

رحت أمشي بينها متسائلة.. لو صح حدسي فبقايا الأسرة التعسة موجودة هنا.. هذا هو المكان الذي تم إخفاؤهم فيه.. وهم

يريدون من يساعدهم ويدفنهم.. لكن كيف يفلت شيء كهذا من كل من فتشوا الفيلا من قبل؟.. كيف لم تتصاعد رائحة؟.. منطق غريب..

يمكنني أن أراه.. لا أعرف من هو ولا ملامحه لكنه شبح ضبابي يقف وسط المكان.. من الغريب أنني لا أشعر ذعرًا.. ربما لفظة (ساعديني) جعلته يفقد رهبته بالنسبة لي.. إنه يقف جوار صندوق من الصناديق.. بالتأكيد يشير له..

اتجهت إلى الصندوق فشعرت بذلك الشيء يتلاشى كأنه دخان.. مددت يدي وعالجت القفل ثم فتحت الصندوق بصعوبة. أغمضت عيني متوقعة أن أرى مجموعة من العظام المتحللة النخرة، لكنني لم أجد شيئًا.. مجرد أوراق..

هناك خطاب مصفر على قمة الأوراق.. مددت يدي وأمسكت به.ثم اتجهت إلى جوار النافذة ففتحته ورحت أطالع المكتوب:

-"كامل.. أنت تعرف أن حياتنا صارت مستحيلة. لقد قررت أن آخذ الأولاد معي.. لا تحاول البحث عنا ولا تذهب لبلدتي لتسأل عني، فمن الأرجح أنني لن أكون في مصر أصلاً. سوف أبدأ حياتي هناك من جديد وسوف أخبر الأولاد أن أباهم قد مات. آسفة جدًا لكنك لم تترك لي الخيار..

سلوى"

رفعت رأسي لأجد ذلك الكائن الضبابي يقف هناك في ركن العلية وقد اخترقه الضوء الخافت المتسرب من النافذة.. بالفعل يتصرف كسحابة دخان لكنها تتخذ شكل إنسان..

قلت في ذهني:

-"إذن أنت كامل.. "

"أنا كامل"

-"أنت لم تقتل أسرتك.. لقد فرت زوجتك والأطفال وأنت لم تبلغ الشرطة لأنك خشيت الفضيحة.. ثم صارت الحياة مستحيلة فأطلقت الرصاص على رأسك.. لكن روحك لم تنعم بالراحة قط.. لقد ظللت تحاول دفع التهمة عن نفسك.. الكل يحسب أسرتك مدفونة في هذه الفيلا، وأنت تحاول ان تجد من يعرف الحقيقة.. تريد أن تثبت أنك ضحية ولست جلادًا.. لكنهم أغبياء.. ما من أحد فكر أن يفحص هذه الصناديق ويقرأ الخطابات.. "

"نعم"

-"أنا سأفعل.. سوف اخبر الجميع أنك لم تقتل سوى شخص

واحد هو نفسك، وكنت مغيب الوعي شبه مجنون عندما فعلت ذلك.."

واتجهت إلى باب العلية ونزلت في الدرج..

عندما عدت إلى قاعة الجلوس كانت زوجة ابن عمي في حالة يرثى لها من الهستيريا وكان ابن عمي متوترًا والسمسار قلقًا..

سألني (شريف) عندما رآني:

-"كلك مغطاة بالتراب والعنكبوت.. ماذا حدث؟"

-"كنت في العلية.. لا عليك.. ماذا حدث؟"

-"كل شيء.. ستائر تنفتح من تلقاء نفسها.. وجه دام ينظر عبر الزجاج.. خطوات على الأرضية.. كل هذا خلال عشر دقائق.. أنا لن ابتاع هذا البيت ولو كان بملاليم.. "

قلت له في جدية:

-"بل يمكنك أن تبتاعه.. لن تتكرر هذه الحوادث ثانية.. مالك الفيلا القديم اتهم بقتل أسرته لكنه لم يفعل.. هذا الخطاب يؤيد ذلك.. إنه يحاول الدفاع عن نفسه"

لم يكلف نفسه عناء النظر للخطاب وقال وهو يجذب زوجته من ذراعها:

-"لا تتعبي نفسك.. لقد انتهى الأمر.. سيان عندي أقتل أسرته أو قتل أفريقيا كلها.. لن أقيم هنا.."

وقالت لي زوجته وهي تخرج بعض المناديل الورقية من حقيبتها:

-"تعالي أنظف لك ثيابك وشعرك.. تبدين مثل المجانين"

وقبل أن أفهم كان ابن عمي يتجه للباب ومعه السمسار الذي لم يعد لديه ما يقال.. ولحقت بهما الزوجة..

هرعت إلى الباب واستدرت أكلم الظلام ومن فيه:

-"لا تقلق.. سوف أخبر كل من أعرفه بالحقيقة.. سوف أرسل الخطاب للصحف كلها.. أعدك بهذا.. ولربما يومًا ما أصير ثرية وأتمكن من شراء هذه الفيلا.. هي رخيصة الثمن لكني لا أملك عشر ثمنها حاليا.. أعدك بهذا.. فقط حاول أن تخلد للراحة التي تستحقها.. "

كنت أشعر بأنه راض عما أقول..

-"أعدك بهذا.. أعدك بهذا.. "

من خلفي سمعت زوجة ابن عمي تقول:

-"من تكلمين يا هند؟"

قلت وأنا ألحق بها وأغلق الباب:

-"لا عليك.. لقد جننت.. ألم تقولي أنت نفسك إنني أبدو كالمجانين؟"



الضيف الغامض.

عمتي في حالة خطرة..

كنت أقف في المستشفى مع أمي وأختي، نشرب جالونات من القهوة، ونلتهم أظفارنا ونراقب الممرضات اللاتي يدخلن الغرفة ويخرجن منها.. ماذا يبدو على وجوههن؟ هل هن يتحاشين النظر لنا؟

الطبيب كذلك دخل الغرفة واستغرق بعض الوقت ، ثم خرج.. كنا جالسات في الاستراحة فهرعت ألحق به وسألته عنها..

لم يكن يملك وعودًا.. لم يكن يملك أكاذيب..

قال بلهجة محايدة إن الحالة خطيرة لكن لن نفقد الأمل.. طبعًا بالنسبة لي كان معنى هذا الكلام هو أن أفقد كل أمل.. لا أمل..

لم أتكلم وعدت لأجلس في الاستراحة مستعيدة شريط ذكريات لا نهاية له.. يومًا ما سيقف أقاربنا خارج الغرفة التي نحتضر فيها،

ويستعيدون ذكرياتهم معنا.. لا مفر من هذا..

أين ذهبت موهبتي؟.. كما قلت هي كطفل شقي، لا يأتي لك إلا عندما يريد هو ذلك.. لا توجد قواعد ولا توجد طريقة لإرغامه على عمل شيء..

هكذا نامت أمي وأختي.. ونهضت أنا بعد قليل لأقف خارج غرفة عمتي..

كانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل.. في العادة تكون هناك ممرضة في الخارج تمنعنا من الدخول قائلة:

-"لو سمحت يا آنسة.. لدي تعليمات صارمة بمنع الزيارة.. "

نظرت إلى الكاونتر لأجدها هناك بالفعل، لكنها نائمة تمامًا كطفل.. رأسها بين الأوراق والقلم في يدها كأنها لم تستكمل كتابة ما كانت تدونه..

هكذا أطللت برأسي داخل غرفة عمتي حيث كانت راقدة هناك في الفراش، وذلك الخرطوم يدخل قصبتها الهوائية وعشرات الأقطاب تخرج منها كأنها أخطبوط بشري..

هنا رأيت ذلك الرجل..

كان يقف هناك عند رأس الفراش.. من هو؟.. كيف سمحـوا لـه بالدخول؟

كان فارع القامة يلبس بذلة سوداء أنيقة.. وكـان يـضع يديـه في جيبه ويرمق النائمة في شيء مـن الأسـى.رآنـي فرفـع نحـوي عينيـه.. كانتا خاليتين من التعبير..

قلت له بصوت مشروخ:

ـ"هل أنت طبيب؟"

بدا الرعب في صوتي وضايقني هذا كثيرًا.. لكنـه لم يـرد.. فقـط ابتـسم ابتـسامة عـابرة خفيفـة واتجـه للبـاب دون أن ينظـر خلفـه.. متسلل!.. لكن ماذا يريـد مـن عجـوز تحتـضر غائبـة عـن الـوعي؟.. لا يمكن أن يكون طبيبًا.. ليس من أقاربنا.. فمن هو؟

خرجت من الغرفة واتجهت للممرضة النائمة فهززتها، ولم أر أثرًا لهذا الغريب في الرواق.. رفعتْ نحوي عينًـا ناعـسة فقلـت لهـا في ذعر:

ـ"هناك رجل في غرفة عمتي!:"

قالت في ثقة:

-"مستحيل"

ثم نهضت معي إلى الغرفة.. وقفت تنظر من حولها، ثم قالت في مزيد من الثقة:

-"لا شيء كما تريد..."

ثم سقطت عيناها على المرقاب جوار الفراش.. رأيتها تتوتر ثم هرعت إلى جهاز الهاتف تطلب طبيبًا.. نظرت للشاشة فرأيت خيطًا صامتًا غبيًا.. لا أفهم في الطب لكن هذه الرسالة بليغة جدًا..

وعندما جاء الطبيب عرفت أن عمتي قد لبت نداء الخالق. سوف أعفيك من التفاصيل الأليمة لما حدث لكن السؤال ظل يطاردني: هل فعل هذا المتسلل شيئًا عجل بموت المريضة؟.. هل يكون قد انتزع خرطومًا ما أو عطل جهازًا ما؟

سألت الطبيب الذي غرق في العرق عما إذا كان هناك شيء ما خطأ.. تفقد الخراطيم وجهاز التنفس وقال:

-"كل شيء في موضعه.. هذه النتيجة متوقعة على كل حال.. لكن دعك من الخيالات.. لم يتسلل أحد للغرفة. لا شك أنك نمت وحلمت.. "

لكني كنت أعرف حواسي جيدًا.. لا لم أنم.. كنت واعية تمامًا عندما رأيت هذا المشهد..

هكذا مرت الأيام السخيفة الكئيبة المعتادة.. وبدأت الحياة تعود لمجراها..

ابن جارتنا (حمدي) في الخامسة والعشرين من عمره، وهو شاب مهذب لطيف.. أقابله من حين لآخر على الدرج فينظر للأرض ويهز رأسه في لطف ثم يبتعد.. هذا كل ما أعرفه عنه. مهندس شاب يملك سيارة صغيرة.. لقد تعلم القيادة مؤخرًا.. لا شيء يمكن قوله عنه..

هو ذا يفتح باب سيارته.. يراني فيهز رأسه باسمًا..

أمر بجواره وأبتسم ابتسامة عابرة توحي بالمودة المتحفظة، ثم أرفع عيني فأجد بجواره رجلاً فارع الطول يلبس بذلة سوداء...رجلاً يقف جوار باب السيارة كأنه ينتظر.. ومن الغريب أن (حمدي) لم يظهر أية علامة على أنه رأى الرجل برغم أنه يقف جواره..

استدرت في ذعر أرمق الرجل.. وجهه مألوف جدًا.. أعرف هاتين العينين بلا شك.. إنه هو!.. كنت أنظر للخلف فاصطدمت

بعامود النور الموجود أمام البيت..

-"انتبهي!"

قالها ابن جارتنا وقد أصابه الذعر من قوة الارتطام..

كانت هذه آخر كلمة سمعتها منه.. آخر كلمة سمعتها منه على الإطلاق، لأنه فقد حياته في حادث مروع على الطريق عندما انفجر إطار سيارته لتطير في الهواء وعندما خلصوا جسده من الحطام لم يبق الكثير منه..

يقول السينمائيون إنه لابد من التكرار ثلاث مرات حتى يفطن المشاهد للعلاقة الغامضة بين الأحداث، وقد كان علي أن أنتظر الحادثة الثالثة لأفهم..

كان زوج صديقة لي مريضًا بمرض خطير – أعتقد أنه السرطان – في المستشفى، وقد ذهبت مع صديقاتي لزيارتها والشد من إزرها..

وقفنا خارج حجرة المريض نتكلم وهي تبكي بلا توقف.. هنا نظرت فوق كتفها فرأيت ذلك الرجل الفارع الذي يلبس بذلة سوداء ينصرف من الغرفة وهو ينظر للأرض كأنه آسف..

صحت في صديقتي:

-"من هذا؟"

نظرت للخلف وسط دموعها وسألت:

-"عمن تتكلمين؟"

-"هذا الذي يمشي مبتعدًا في نهاية الردهة.. "

هزت رأسها أنها لا تدري عما أتحدث وعادت تحكي عن معاناتها مع زوجها و.. لكني لم أنتظر لأسمع بل رحت أركض في الردهة محاولة اللحاق بهذا الزائر الغامض.. للأسف كان هناك باب جانبي وعندما اقتربت منه كان قد اختفى.. لم استطع اللحاق به عبر ذلك الباب لأنه كان يفتح على سلم مزدحم بالناس..

ومن يدري؟.. لعله لم يجتز الباب أصلاً..

أنت تعرف أن زوج صديقتي توفي في تلك الليلة.الأطباء قالوا إن هذا حتمي ومعروف منذ البداية.. لكني لم أستطع نسيان ذلك الرجل فارع القامة الذي يمشي قرب من ينتظرون الموت..

لم أستطع النوم لعدة أيام وأنا أفكر في معنى هذا..

اتصلت بدكتور (محمود الالفي) صديقي المخلص، وحكيت له القصة، وأنهيت كلامي قائلة:

-"بشيء من الخيال يمكن تصور أن هذا الزائـر هـو المـوت.. أنـا أراه وهو يزور من اختار أن يلفهم بعباءته الكئيبة"

قال مفكرًا:

-"لا أحد يقدر على رؤية الموت.. "

-"وهل أنا كالناس؟"

-"دعك من أننا نتحدث عن ملـك المـوت ذاتـه.. الفكـرة عجيبـة وتصطدم بالدين بشدة.. لا أصدق هذا.. "

ثم فكر من جديد هنيهة وقال:

-"هناك أسطورة مجرية عن صبي رباه الموت ذاته، وبالتالي صار قادرًا دون سواه على رؤيته.. وعندما كبر الـصبي صـار طبيبًـا عظيمًـا.. علمه المـوت أن يراقـب سـرير المـريض فـإن رأى المـوت يـدنو مـن رأس المريض عرف أن المريض سيموت ولا جدوى مـن المحاولـة، أمـا إن رآه يدنو من قدم السرير فمعنى هذا أن المريض سينجو ومن الممكن أن يبـذل جهده لإنقاذه.. النتيجة هي أن الطبيب صار الأشهر والأنجح.. كل من يعالجه سينجو وكل من يرفض علاجه مائت لا محالة.. "

-"هذه القصة تبدو لي مألوفة.. يبدو هذا حلاً مريحاً.. "

-"ليس بالضبط.. لقد طُلب الطبيب ليفحص ابنـة الملك.. كانت رائعة الحسن وأحبها على الفـور.. هنـا رأى المـوت يتجـه ليقـف عنـد رأس الفراش.. على الفور أمر الخـدم بتـدوير الفـراش.. حـاول المـوت ثانية فدور الخدم الفراش من جديد.. هكذا ظل الموت يحاول بلا جدوى وفي النهاية انصرف غاضبًا وعاشت الفتاة.. "

-"هل تقترح أن أقوم بتدوير أسرة الناس؟.."

-"لا أقترح أي شيء.. هذه أساطير لا حظ لهـا مـن الحقيقـة.. لا أحد يمكنه رؤية الموت ولا أحد يقدر على خداعه.. أعتقد أنك تخـرفين يا (هند) لا أكثر.. "

-"أتمنى هذا من صميم قلبي.. "

-"ثمة شـيء آخـر.. لـو كانـت موهبتـك تتـيح لـك رؤيـة المـوت المتربص بالناس، فلماذا حـدث هـذا الآن؟.. لماذا ظهـرت هـذه القـدرة فجأة؟.. أين كانت في الأعوام الماضية؟"

ووضعت السماعة حائرة...يجب أن أنسى هذا..

لكنني لم أنس وظل هذا الوجه يطاردني..

مساء الجمعـة كنـت في غـرفتي، عنـدما سمعـت ذلـك الأنـين..

هرعت لأبحث عن مصدره فوجدت أمي في فراشها تئن وتتلوى..

-"ماذا حدث؟"

قالت وهي تضع يدها على ضلوعها من الناحية اليمنى:

-"المرارة.. لابد أنها المرارة.. اطلبي الطبيب حالاً.. "

هرعت إلى الهاتف وطلبت طبيبًا شابًا اعتاد أن يعالجها.. صحت أختي وأخي وجلسا قلقين ينتظران.. لو كان أبي هنا لكان الأمر أسهل..

دق جرس الباب بعد قليل، فنظرت من العين السحرية التي تظهر القادم.. رأيت الطبيب الشاب واقفًا هنالك ولكن رأيت خلف ظهره.. رأيت ذلك الغريب فارع الطول.. !

صرخت في جزع.. وصحت:

-"لن اسمح له بالدخول.. لا!"

جاء صوت الطبيب الحائر عبر الباب:

-"تسمحين لمن؟.. أنت طلبتني بنفسك "

-"لن أسمح لهذا القادم معك "

نظر للخلف ثم قال:

ـ"عم تتحدثين؟.. هل أنت على ما يرام؟"

فتحت الباب في حذر ليسمح بمرور شخص واحد فقط، فدخل الطبيب وهو ينظر لي في عدم فهم.. لكني لم أعط تفسيرات.. فقط أغلقت الباب خلفه واسترقت النظر عبر العدسة.. ما زال الغريب واقفًا..

دخل الطبيب وتفحص أمي وأعلن أنها حالة التهاب مرارة حادة بالفعل واقترح أن نذهب للمستشفى.. لكني أصررت على ألا نفعل..

هكذا ملأ محقنه وبدأ يتهيأ لإعطائها بعض المسكنات.. رفعت عيني فوجدت ذلك الغريب يقف عند رأس الفراش.. القامة الفارعة والنظرة الخاوية والبذلة السوداء..

صرخت في جنون:

ـ"لن أسمح لك!!"

وانتزعت السكين المخصصة لتقطيع الفاكهة التي كانت في الصالة وهرعت إلى الغريب وهويت عليه بالسكين.. كنت أصرخ وأرغي وأزبد كالثيران.. تملص برشاقة وتنحى جانبًا دون أن يبدو على وجهه أي تعبير..

ـ"أخرج من هنا!!"

وهويت عليه في اتجاه آخر.. لكنه تملص من جديد.. وشعرت بأختي والطبيب يمسكان بمعصمي وأنا اصرخ وهما يرددان عبارات التهدئة لي.. ثم فقدت الوعي..

كان أول وجه رأيته أمامي عندما فتحت عيني هو وجه د.(محمود الألفي) العزيز.. كنت في فراشي..

كان يبتسم.. وقال لي وهو ينزع المحقن من ذراعي:

ـ"أنت بخير يا هند"

مشوشة التفكير والشعر شبه نائمة، سألته بصوت مغلق متحشرج:

ـ"أين ذهب؟"

ـ"هو لم يأت أصلاً.. ألم تفهمي بعد أن هذا الشخص وليد خيالك؟.. لقد كان العبء النفسي ثقيلاً عليك وأنت قد عشت لحظات وفاة عمتك بثقلها ومرارتها.. هكذا ولد هذا الشخص الغريب الذي لا يراه سواك.. يجب أن تصدقي هذا.."

ثم مد يده إلى كتاب جوار فراشي كتب عليه (أساطير من شرق

أوروبا) وقال:

ـ"أنت قرأت ألأسطورة التي حكيتها لك ونسي أنك قرأتها.. لكنها ظلت هناك في عقلك الباطن تنتظر الخروج.. "

قلت في تعب:

ـ"كلامك منطقي لكنه غير مقنع..."

ـ"وأنت تخرفين.. لقد حقنتك بشيء يهدئك ويريحك.. حاولي أن تنامي قليلاً"

كان الظلام يتزايد من حولي.. ورفعت عيني لوجه د.(محمود) فخيل لي أنه مألوف.. ليس وجهه.. منذ متى صار فارع القامة بهذا الشكل؟.. لماذا يلبس هذه البذلة الغامقة؟.. إنه هو..

سوف أنام الآن.. أنزلق لهاوية مظلمة.. لو لم أعد لعالمنا هذا فأنا محقة وقد رأيت الموت فعلاً.. أما إذا صحوت من النوم فقد كنت واهمة..

هذا هو الاختبار الأخير لي.. فقط لأنم الآن ولسوف أعرف الحقيقة عن قريب.. سأعرف كل شيء..

أخطاء لغوية

الساعة الأخيرة في عمل المصرف..

يوم حار ثقيل لزج، والصراف (ياسر) يتنهد.. إن جهاز المكيف لا يعمل على ما يرام، وقد أبلغ الصيانة لكن أحدهم لم يأت.. لهذا كان العرق يغمر ياقة قميصه وبالتأكيد كان بوسعه أن يعتصر ربطة عنقه..

لم يبق في المصرف سوى أربعة أشخاص يجلسون على المقاعد ينتظر كل منهم سماع رقمه. ضغط على الزر طالبًا الرقم الجديد.. هنا نهض نحوه ذلك الشاب ذو الشارب الكث والنظارة السوداء واستند على زجاج الخزانة، ووضع حقيبة صغيرة سوداء على الكاونتر ثم قال في تهذيب:

-"هذه الورقة لو سمحت.. "

تناول الصراف الورقة.. كانت مكتوبة بخط رديء استغرق

بعض الوقت ليقرأه.. ثم بدأ يستوعب فيفهم.. كانت الرسالة بما فيها من أخطاء لغوية تقول:

-"أنا أحمل في جيبي مسدس محشو.. وهو مصوب إلى رأسك.. تزكر.. هناك اثنان معي هنا وسوف يطلقون الرصاص على كل شئ يتحرك في المصرف، لو أنك استغثت أو أحدثت صخب. قم بملأ الحقيبة السوداء بالأوراق المالية من فئة المائة دولار.. "

رفع الصراف عينيه ليقابل الوجه الصلب القاسي للفتى.. لا ترى عينيه لكن هذا يزيد وجهه قسوة..

ابتلع ريقه بصوت عال، ثم من دون أن يلتفت صاح:

-"أستاذ (إبراهيم).."

من مكان ما جاء الأستاذ إبراهيم رئيس القسم.. ونظر في عدم فهم لمرءوسه والعميل، ثم ألقى نظرة على قطعة الورق، ومن جديد ابتلع ريقه..

هذه المرة وضع الفتى المسدس على الكاونتر ليعرفا أنه يقول الحقيقة.. مسدس كبير الحجم مخيف الشكل. هكذا أصدر أستاذ إبراهيم أمرًا فهرع الموظف وواحد آخر يملئان الحقيبة بالدولارات..

لم يكن يريد مشاكل.. قال لنفسه إن هناك احتمالاً لا بأس به أن يكون المسدس مسدس صوت لا أكثر، لكن حتى لو كان خطأ هذا الاحتمال خمسة بالمائة فإنه مقلق بما يكفي..

هكذا امتلأت الحقيبة، وعلى الفور أغلق الشاب السحاب ثم دس المسدس في جيبه واستدار.. وقال قبل أن ينصرف:

-"بعد ربع ساعة يمكنك طلب الشرطة أو الصراخ أو أي شيء.. قبل هذا لا تجازف.. "

وسرعان ما كان يغادر المصرف أمام عيني رجل الحراسة العجوز الجالس في الظل يشرب الشاي.. فلم يلحظ أي شيء غريب..

فيما بعد قال رجل الحراسة إن الشاب استقل سيارة زرقاء فيها راكب ينتظره.. وقد انطلقت السيارة بسرعة جنونية لتختفي في شارع جانبي.. لم يعرف طرازها ولا رقمها لأنه لم يشك في شيء..

وعندما جاء رجال الشرطة بعد ربع ساعة، أيقن المحاسب (ياسر) إن ما قاله الفتى عن وجود زملاء له في المصرف لا صحة له، لكنه عجز عن أن يجازف على كل حال.. كما أدرك الجميع أن عملية سطو بسيطة جدًا وساذجة جدًا تمت لهم، وكانت النتيجة الحصول

على مائة ألف.. عُشر مليون دولار بضربة واحدة، والأدهى أنه ما من خيط على الإطلاق..

سأله ضابط الشرطة:

-"هل لديك أرقام الدولارات؟"

قال الصراف في حيرة:

-"لا نحتفظ بكشوف كهذه.. "

على كل حال عممت صفات السيارة، وبعد ساعات وجدوها في شارع جانبي.. قاموا بفحصها فوجدوا إنها سيارة حمراء مسروقة قام اللصوص بدهانها بلون ازرق.. لوحة الأرقام مزيفة.. فحص البصمات لم يجد أية بصمات لأصحاب سوابق.. عرض صور أصحاب السوابق على الصراف لم يجدِ.. على كل حال كان من المؤكد أن الشارب والنظارة السوداء مستعاران..

إنها الجريمة الكاملة برغم سذاجتها.. ماذا يمكن عمله؟.. الانتظار حتى يقرر السارق إيداع الدولارات أو تبديلها؟.. ماذا لو لم يفعل قط؟

هذا هو الوقت الذي قرر فيه النقيب (سمير البنا) أن يتصل بي

في البيت..

بعد ما سألني عن دراستي وأخباري وكل هذه الأسئلة السخيفة المعتادة، قال لي القصة كلها.. ثم سألني عن كيفية مساعدتهم..

قلت في مرارة:

-"لو كنت تعتقد أنني سألعب دور الكلب البوليسي، فأشم مكان الجريمة ثم أجري بين الأزقة حتى أجد السارق وأنشب أنيابي في ذراعه، فأنت غالبًا مخطئ.. "

ضحك في الهاتف طويلاً حتى غلبه السعال، ثم قال:

-"بيني وبينك.. تمنيت لو أمكن عمل هذا.. سيكون كل شيء رائعًا وقتها.. ولكن أرجو أن تفكري قليلاً وتخبريني.."

هكذا رحت أفكر في شيء يمكن عمله..

اقترحت عليه هاتفيًا أن يرتب لي رؤية السيارة المستعملة في الجريمة، وأن أقابل المحاسب.. فوعدني بأن يرتب لي هذا..

في اليوم التالي جاءت سيارة مدنية عادية إلى شارعنا، ورأيت وجه النقيب يطل منها.. هو يعرف كراهيتي الشديدة لوقوف سيارة الشرطة تحت بيتنا ونزولي لأركبها وسط تساؤلات الجيران عما

يحدث..

أخيرًا وصلنا إلى ساحة السيارات التي يتم التحفظ عليها.. لم يسلموها لصاحبها بعد. كانت سيارة حمراء من طراز (لادا) بحالة رثة، وقد بدا واضحًا أن عليها طلاء أزرق في عدة مواضع قاموا بمحوه قدر الإمكان..

جلست خلف القود ورتبت ذهني.. أغمضت عيني..

سلبي.. لا أرى أي شيء.. لا توجد خواطر...

فقط أشعر بالشر.. الشر له وجود معنوي محسوس وقد اعتدت أن اشعر به لكن لا أعرف كيف أصفه.هناك أماكن تفوح به.. هذا مكان شرير..

سألني النقيب عما أشعر به فهززت رأسي.. لا شيء..

مد يده في جيبه وأخرج تلك الورقة التي كان اللص يحملها وناولها لي.. أمسكت بالورق.. هناك الكثير من القلق والتوتر، ويمكنني أن أشعر باليد التي كتبت هذه الكلمات ذات الخط الرديء.. لكن لا شيء سوى هذا...

هذه المرة ركبنا متجهين إلى المصرف.. وهناك في مكتب المدير

طلب النقيب لقاء الصراف (ياسر)، وهكذا ظهر بعد دقائق.. شاب نحيل وسيم نوعًا له شعر ناعم طويل يغطي أذنيه.. في ملامحه شيء يوحي بطفل مذعور..

قال النقيب:

-"الآنسة صحافية يهمني أمرها وهي ترغب في أن تحكي لها قصة السطو من جديد"

صافحني الفتى وجلس.. يده ملوثة بالعرق وترتجف نوعًا..

كان الفتى متوترًا لكنه عاد يحكي القصة منذ البداية.. أما أنا فلم أسمع ما يقول.. الورقة واليد.. اليد والورقة.. هذه هي اليد التي لامست الورقة.. أعرف هذا يقينًا.. لم تلمسها لتقرأ ما فيها بل لتكتبه لو كنت تفهم ما أعنيه!!

قاطعته فجأة وقلت وأنا أفتح حقيبتي وأخرج قلمًا ومفكرة:

-"هل يضايقك لو كتبت ما أمليه عليك؟"

نظر لي في دهشة، فمال النقيب ليهمس في أذني:

-"فيم تفكرين؟.. ليس الخط خطه.. هو خط ردئ جدًا.. "

-"أرجو أن تتركني أفعل.. "

صاح المحاسب محتجًا لكن النقيب أعاد الطلب بشيء من الحزم، قائلاً:

-"أرجوك.. هذا سوف يفيد التحقيق.. "

هكذا رحت أملي على الفتى الجملة التالية:

-"الشيء الغريب الذي حدث هو أنني سمعت صوت ملء الكوب.. وسمعت صوتًا آخر لن يفارق ذاكرتي ولو بعد مئة عام"

انتهى من الكتابة فمددت يدي أتناول الورقة وأنظر فيها.. رأيته قد كتب:

-"الشئ الغريب الذي حدث هو أنني سمعت صوت ملأ الكوب.. وسمعت صوت آخر لن يفارق زاكرتي ولو بعد مائة عام"

انتحيت جانبًا بالنقيب.. وقلت له همسًا وأنا أريه الورقة:

-"هل ترى؟.. نفس الأخطاء اللغوية التي رأيناها في المذكرة الأولى.. (شيء) يكتبها (شئ).. (ملء) يكتبها (ملأ).. (ذاكرة) بالزاي لا الذال.. (مئة) يكتبها (مائه) وبالطبع لا ينصب المفعول به أبدًا بل يسكنه.. "

ابتسم في مرارة وقال:

-"الخط يا (هند).. الخط.. ليس هو ذات الخط"

-"لأنه كتب مذكرة اللص باليد اليسرى.. أؤكد لك أن ذات اليد كتبت الرسالتين.. بعد هذا تلقى الرسالة وقرأها وأظهر الذعر والحيرة.. "

قال ضاحكًا:

-"الأخطاء اللغوية لا تدل على شيء.. كل الناس ترتكب ذات الأغلاط حتى أنا.. لا يمكن أن أقدم رجلاً للمحكمة لأنه لا ينصب المفعول به.. ثم لماذا يكتب هو المذكرة بنفسه؟.. كان بوسعه أن يطلب ذلك من أي واحد في العصابة"

-"البصمات.. ماذا عنها؟"

-"بصماته على الورقة طبعًا.. ماذا تتوقعين؟.. لقد أمسك بها مرارًا ليقرأ ما فيها"

قلت في إصرار:

-"كيف عرف اللص أن المصرف يحتفظ بهذه الكمية من الدولارات؟.. كانت ساعة متأخرة ومن الوارد أن يقال له: تم توريد الإيراد للخزينة الرئيسة أو شيء من هذا القبيل.. لابد من واحد من

داخل المصرف يعرف عمل المصرف ويعرف أن هذا المبلغ سيكون موجودًا"

نظر لي في اهتمام.. ثم قال:

ـ"هذا احتمال مهم ولم يدر بذهننا من قبل.. لكنه كذلك لا يعني أن المحاسب متورط"

رحت أفكر في عمق.. المشكلة في حاستي هذه هي الحدس.. الحدس ليس دليلاً في أية محكمة ولا يؤخذ بجدية أبدًا.. لابد من دليل مادي أو اعتراف..

عدت أكرر بصوت أعلى قليلاً:

ـ"الصراف متورط.. لا شك في هذا.. أعرف أنه رتب الأمر مع صديقين له.. كل شيء.. الموعد.. السيارة اللادا.. الحقيبة.. المذكرة.."

سمعني الفتى هذه المرة فنهض متجهًا نحوي..

عيناه الواسعتان الخائفتان تنظران لي.. عينا الطفل..

قال بصوت مبحوح:

ـ"لا أعرف من أنت يا آنسة حقًا.. لا يهمني أن أعرف.. فقط أنت تدمرين سمعتي ومستقبلي وتلقين علي ظلال الشك للأبد لمجرد

أنك تعتقدين.. لا أعرف إن كنت تصدقين أم لا، لكن لا علاقة لي بهـذه القصة. أنا ضحية مذعورة كادت تفقد حياتها واليوم توشك علـى فقدان سمعتها.. لا علاقة لي بالسطو ولا المذكرة ولا السيارة اللادا الحمراء ولا المسدس ولا أي شيء.."

شعرت بقلبي يتمزق.. هل أنا متحاملة؟.. من الخطأ أن أعتمـد على حاستي فلقد خدعتني مرارًا.. فعلاً لا يـستحق هـذا الفتـى الطيـب ذلك.. أنا فعلاً آسفة..

نظر لنا الفتى للحظات ثم سأل النقيب:

-"هل من شيء آخر؟"

-"مؤقتًا لا.. عد لعملك.."

عندما غادر الصراف الغرفة قلت للنقيب:

-"لا أدري.. يبدو صادقًا.. حاستي تتهمه لكـن عينيـه صـادقتان فعلاً.. أخشى أن أكون قد تماديت.."

قال وهو ينظر إلى الصراف الذي جلس إلى مكتبه:

-"بالعكس.. لقد بدأت أثق بك أكثر.. لقـد ذكـر أن الـسيارة الـلادا حمراء.. لا أحد يعرف ذلـك سـوى رجـال الـشرطة والمجـرمين، لأن مـا

يعرفه رجال المصرف وما نشر في الصحف أنها زرقاء.. فكيف عرف ذلك ما لم يكن موهوبا مثلك؟"

الغـول

نظرت لأهدابه الطويلة التي تغطي عينيه، وخديه الشاحبين..

دنـوت منـه فأجفـل قلـيلاً، ثـم عـاد يحـدق في يديـه.. يديـه المسترخيتين في حجره كأنهما طائران نائمان بلا حيلة.. صدره الصغير يعلو ويهبط ببطء..

مددت يدي ولمست خده الناعم فلم يبد أية علامة على أنه لاحظ شيئًا..

قلت لهالة وأنا أمسد الخد الصغير:

-"في رأيي أنه مصاب بالـ autism.. التوحد.. هذا هو التفسير الوحيد"

قالت (هالة) وهي تصب الشاي في قدحين:

-"هذا ما ظننته حتى قال الطبيب النفسي إن التوحد يظهر في

أول عامين من العمر.. وله أساس وراثي قوي. هذا ليس توحدًا على الإطلاق.. هذا تأثير ما بعد الصدمة أو شيء من هذا القبيل.. "

كان (أكمل) يجلس أمامنا ينظر ليديه، ولا يبدو على الإطلاق أنه سمع ما نقول.. صعب أن تتصور طفلاً في السادسة من العمر يمر بهذه الحالة، خاصة وقد كان من أفضل تلاميذ صفه التمهيدي وأبرعهم..

هذه القصة ترتبط دائمًا بحدوث حمى مخية، أو التهاب فيروسي في المخ، لكن الأطباء بالتأكيد فحصوا هذا الاحتمال عدة مرات وأجروا رسم دماغ.. لن ألعب دور الطبيب أنا التي لا أعرف الفارق بين الحصبة والكوليرا..

ونظرت إلى (هالة) في أسى..

(هالة) ابنة خالي الحسناء المدللة. كانت تصغرني بعام، ثم ظهر لها ذلك العريس المتحمس الجاهز الذي أقنع أهلها بأن تتزوج وأن تترك دراستها في الكلية وتسافر معه إلى كندا. بالنسبة لأسرتنا كانت تعتبر محظوظة جدًا.. لكني بالفعل غير قادرة على أن أتعامل بجدية مع شخص لم يستكمل تعليمه. هناك شيء ما ناقص.. صحيح أن الأمومة

علم في حد ذاته وأهم من أية رسالة دكتوراه، لكني أشعر بأنني لم أكتمل بعد.. أنا مثل الرغيف الذي لم ينضج في المخبز، ويصعب أن يخرج ليؤكل لأنه سيكون عجينًا يثير الغثيان.. أنا بحاجة إلى سنوات من النضج قبل أن أكون مسئولة عن بيت وأطفال، وهذا النضج يحتاج إلى تعليم وخبرات..

بعد أعوام عادت (هالة) محبطة حزينة، ومعها صغيرها الجميل الذي تحول إلى نبات بهذا الشكل.. تقريبًا لا يتكلم.. لا يبذل أي جهد في الأكل أو الشراب، ولو لم يدس أحدهم الطعام في فمه لما أكل للأبد.. الأطفال يلعبون ويصخبون لكنه جالس هكذا ينظر ليديه.. لو عرضت أمامه كل أفلام ميكي ماوس وباربي وسلاحف النينجا لما كلف خاطره بأن يرفع عينه ليرى ما هنالك..

جدير بالذكر أن الأطباء الكنديين فشلوا تمامًا في فهم ما اصاب الطفل، وعادت (هالة) إلى مصر لأنها لم تعد تطيق كندا..

زوجها لم يستطع ترك عمله هناك، لهذا سمح لها بأن ترحل لمصر..

ما حدث للزوجة بعد ذلك هو السيناريو المعهود.. أطباء

نفسيون.. مشايخ.. الشيخ الفلاني يمكنه شفاء الأطفال عن طريق شرب عصير النمل.. هناك جني كافر يتسلط على ابنك.. يقولون إن لدغات النحل قادرة على... مزيج من العسل وحبة البركة صباحًا قد...

في النهاية قالت (هالة):

-"الحمد لله على أنه حي وسليم الجسد.. سوف أعنى به وأمنحه كل شيء، وأعتقد أنه سوف يجتاز هذه العقبة.. "

وعادت تمارس حياتها بشكل طبيعي، وإن لم تجد الشجاعة بعد كي تعود إلى كندا.. هناك الإمكانيات الطبية أوفر، لكن هنا يبدو الناس أكثر ألفة والأمور أسهل..

زرت (هالة) أنا وأمي وأختي، وهو شيء اعتدنا عمله كل أسبوع..

كانت محاولات اتصالي بالطفل فاشلة دومًا.. إنه يتعامل معي كأنني ذبابة.. فقط ينظر لي النظرة الأولى ثم ينهمك في تأمل يديه..

سألت (هالة) وأنا اجلس القرفصاء أمام الصغير:

-"هل بدأ كل شيء فجأة؟.. أعني.. هل صحوت يومًا فوجدت الأمر كذلك؟"

يصعب على المرء أن يتكلم براحته في هذا الموضوع.. لكنها كانت قد تأقلمت فعلاً، لذا قالت في بساطة وهي تقدم لي الشاي:

-"لا شيء.. نام ليلته في غرفته الصغيرة وكان سعيدًا راضيًا.. في الصباح وجدناه بهذا الحال.. "

-"لم يحدث شيء ليلاً؟"

-"لا شيء.. هل تحسبين أن الأطباء لم يسألونا ذات السؤال ألف مرة؟"

دنوت من الطفل أكثر ولمست يده.. إنني أرى جدارًا عظيمًا يحيط به.. جدارًا يمنعني من الوصول له، وهو الذي بنى هذا الجدار لنفسه..

فجأة تم الاختراق.. لقد انفتحت فجوة صغيرة في الجدار، فارتجفت ووثبت للخلف.. كان ما رأيته مرعبًا فعلاً.. رأيت غرفة هادئة لونها أزرق.. كل شيء فيها أزرق.. ستائر زرقاء.. ملاءات زرقاء.. سقف لبني يوحي بالسماء.. خزانة ثياب زرقاء.. دمى.. ألعاب..

الإضاءة خافتة هادئة.. ثم.. هناك شيء يخرج من الجدار.. شيء عملاق مخيف لا أعرف ما هو، لكنني لا أريد أن أراه بوضوح..

رباه!.. إنني أشعر بذات الذعر الذي شعر به الصغير.. أشعر به.. كل ذرة في جسدي تنتفض.. كل عصب ينبض بجنون..

لا أعرف ما حدث، لكني كنت على الأرض بينما (هالة) تصيح في دهشة:

-"ماذا دهاك؟.. لماذا تبكين يا حمقاء؟.. ولماذا سكبت الشاي؟"

لم أرد فقالت في عصبية:

-"أتوقع من الناس أن يساعدوني، لا أن يأتوا ليظهروا حسرتهم وأسفهم.. هذا لن يفيدني في شيء فأنا اعرف حجم مصيبتي"

قلت لها وأنا أسعل:

-"لا.. ليس هذا تأثرًا أقسم لك.. فقط شعرت للحظة أن رأسي خفيف جدًا وأن وعيي يتسرب.. "

ورحت أحاول تنظيف البساط بمنديل ورقي مما أسقطته عليه من شاي..

كنت انظر إلى (أكمل).. هذا الصغير رأى شيئًا مخيفًا.. شيئًا فاق قدرته على التحمل لذا انسحب إلى عالمه الداخلي..

عندما عدت لداري أغلقت الغرفة علي، ورحت أنظر في الظلام

مفكرة..

الآن أعرف أن موهبتي تحركت، وقد استطاعت أن تلتقط شيئًا مما رآه الصبي.. الأمر واضح.. لكن ما الذي رآه فعلاً؟

لص؟.. لو دخل لص الغرفة لترك فجوة وآثارًا واضحين..

عفريت؟.. كل العفاريت تشق الجدار.. لكن بالطبع لست على استعداد لتصديق هذا الهراء، حتى لو كان هناك ألف خبير مستعد لتصديق هذا..

ولكن لم لا؟.. خبراتي تؤكد أننا لسنا وحيدين في هذا العالم.. يبدو لي أن هذه الغرفة مزدحمة فعلاً بالكائنات التي لا نراها.. هل رأى الصبي شيئًا من هذا وأصابه الذعر؟.. لماذا هو بالذات؟

نهضت إلى الهاتف واتصلت بـ (هالة) مع إن الوقت متأخر:

-"هالة.. هل صرخ (أكمل) أو استغاث في تلك الليلة؟"

-"ليلة ماذا؟"

-"هل جننت؟.. لا توجد ليال كثيرة كما تعرفين"

قالت وهي تتنهد:

-"في تلك الليلة لم أكن في البيت.. كنت في المستشفى.. جراحة

نسائية بسيطة، لكن الأطباء طلبوا أن امضي الليل في المستشفى.. أبوه هو من حكى لي في الصباح أنه كان سعيدًا راضيًا عندما دخل الفراش.. في الصباح وجده صامتًا غريب الأطوار، فتركه وجاء بي من المستشفى.. وعندما وصلت بدوري أدركت أن الأمر اخطر من غرابة أطوار.. "

في الصباح قصدت دار (هالة).. كانت مندهشة من اهتمامي المفاجئ.. لكني لم أقل الكثير.. اتجهت لغرفة (أكمل) ونزعت حذائي لأجلس القرفصاء على فراشه، ووضعت يديه الصغيرتين في يدي..

-"ماذا تفعلين؟.. هل تلعبين (اليوجا)؟"

-"أكون شاكرة لو خرست قليلاً"

وأطبقت على يد الغلام وأنا انظر في عينيه.. عينيه اللتين لم يرفعهما نحوي قط..

نعم.. المشهد يتكرر.. الجدار ينشق ويظهر ذلك الوحش العملاق.. ليس غولاً ذا حافرين وأنياب ومخالب لكنه مخيف فعلاً.. الكابوس ينتهي بخروجه فلا أعرف ما حدث بعد ذلك قط.. فقط أشعر بذات الخوف والرعب..

له وجه مخيف.. نعم.. شعر شبيه بلبدة الأسد ثائر منتصب..

أنف غليظ.. عينان ذهبيتان مشعتان.. أراه بوضوح تام..

سألت (هالة) وأنا استجمع أعصابي كي لا أفقد وعيي ثانية:

-"هل غرفة (أكمل) زرقاء اللون؟"

نظرت لي في دهشة ثم قالت:

-"هل تتصلين بالجن؟.. نعم هي زرقاء جميلة جدًا وقد أعددتها بنفسي.. كيف عرفت؟"

-"خمنت.. هل عندك صور لها؟"

هزت رأسها ثم اتجهت إلى جهاز كمبيوتر في ركن الغرفة، ففتحته.. وفتحت ألبوما من الصور الرقمية، وشرعت تعرض علي مجموعة من الصور الجميلة لأكمل يلعب في غرفته.. يلاكم أباه.. يأكل.. يشاهد مجلات مصورة.. الخ..

ثم بدأت مجموعة صور لحفل عيد ميلاد.. هناك مجموعة من الكبار وأطفال مزعجون لا يكفون عن الصياح والتواثب.. صور مملة كالعادة ومتشابهة..

ولكن.. أوقفي العرض..

هذه الشقراء..

-"من هي؟"

-"اسمها (كاري ديفيرو).. جارتنا.. امرأة لطيفة نوعًا.. غير متزوجة.. لماذا تسألين؟"

كنت أنظر إلى الشعر الثائر الشبيه بشعر الأسد.. العينين الذهبيتين.. الأنف الغليظ. هذه امرأة غير هينة.. امرأة مزعجة تجلب المتاعب حيثما كانت، والأخطر أنها تشبه ذلك الغول جدًا.. ما معنى هذا؟

هل يمكن أن اجعل (أكمل) يلقي نظرة عليها؟.. لا.. هي مخاطرة كبرى وأنا لست طبيبة نفسية لأتخذ قرارًا كهذا..

-"هل أنت سعيدة في زواجك يا هالة؟"

كنت أشعر بالإجابة قبل أن ترد، لكنها ابتلعت ريقها وصمتت قليلاً ثم قالت:

-"لا.. بصراحة.. (يوسف) عاش طويلاً في كندا وصارت له طباع تختلف عن طباعنا، وقد حسبت أنني سأتعود لكن الأمر يشبه أن تتوقعي أن تنشأ علاقة طيبة بين دجاجة وأرنب.. كلاهما من طراز مختلف تمامًا.. لا جدوى من التأقلم.. "

وساد صمت ثقيل..

كنت أفكر.. لقد هبط علي الجواب فجأة كأنه الإلهام..

(كاري ديفيرو) الكندية اللعوب والجارة.. الزوجة (هالة) في المستشفى تجري جراحة.. الزوج والطفل وحدهما في البيت.. الطفل نائم.. هكذا وقع شيء ما، والمشكلة هي أن الصبي استيقظ في لحظة غير مناسبة فماذا رأى؟.. عقله البريء لم يستوعب شيئًا.. فقط استقر في ذهنه منظر (كاري) وقد تحولت إلى غول مخيف يخرج من الجدار ليلتهمه.. يلتهم سلامه الأسري واستقرار بيته..

في الصباح كانت الصدمة عنيفة جدًا فلم يعد يتكلم ، وبنى هذا الجدار الشامخ حول نفسه..

قلت لهالة وأنا أغلق جهاز الكمبيوتر:

ـ"لست مطمئنة لبقاء زوجك وحده في كندا.. هناك من سوف تحسن التلاعب به.. مثلاً تلك المرأة (كاري).. لا تطمئني لها كثيرًا.."

نظرت لي في شك وقالت:

ـ"هل صرت عالمة بالغيب فجأة؟.. أنت غريبة الأطوار اليوم "

ـ"فلنقل إنه حدس أنثوي.. "

ولم أقل أكثر وانصرفت بسرعة قبل الوقوع في أسئلة محرجة..

بعد يومين عرفت أنني كنت على حق على طول الخط.جاء صوت (هالة) عبر الهاتف يشي بأنها بكت كثيرًا جدًا.. كانت تقول:

ـ"نعم.. لم أقل هذا الكلام لأحد حتى أمي.. زوجي يحب تلك المرأة ويميل لها، وصديقة من هناك تخبرني أن علاقتهما صارت حميمة بعد عودتي لمصر.. أعتقد أننا متجهان إلى الطلاق لا محالة.. قلت لك إن الدجاجة والأرنب لن ينسجما أبدًا.. "

قلت لنفسي: المشكلة أن يكون الأرنب خائنًا كذلك...

ثم قلت لها بنبرات واضحة:

ـ"اسمعي.. أنا أعرف يقينًا أن زوجك على علاقة بهذه الـ (كاري).. ابنك شعر بشيء من هذا وهذا سبب اضطرابه.. عليك أن تعرضيه على طبيب نفسي وتخبريه بأنه تعرض لهزة نفسية قوية تتعلق بإخلاص أبيه لأمه.. "

ثم أردفت بلهجة غامضة:

ـ"أما عن علاقتك بزوجك فهذا شأنك.. كل ما يعنيني أن يشفى ابنك "

كادت تلقي المزيد من الأسئلة الفضولية لكني أنهيت المكالمة في عصبية.. فقط قلت لها مفسرة:

ـ"شعرت بأن هذه المرأة غير مريحة على الإطلاق.. كأنها.. كأنها غول!!"



أنا فاتنـــة

عرفـت منـذ اللحظـة الأولى مـا سـيقوله د.(محمـود الألفـي) وامتلأت قلقًا..

لا أعتقد أن لموهبتي دورًا في هذا، بـل هـي الغريـزة الأنثويـة أو الحاسة السادسة أو ما شئت من أسمـاء.. الأنثـى الـتي لا تتوقـع شيئًا كهذا ليست جديرة بلقب أنثى..

كنـا جالـسين في مكتبـه وكـان يـتكلم عـن (الباراسـيكولوجي) كالعادة، ويحكي لي عن خبراته في هذا المجال، ثم تغيرت نظرة عينه واختفى ذلك الصفاء منها، وأدركت أنه يفكر في شيء آخر.. هذا التغير ترجمته على الفور إلى أنه يعتزم قول..

قلت على الفور:

ـ"د.(محمود).. من فضلك لا تقلها.. "

نظر لي في دهشة ثم في فهم.. وبعد لحظة مراوغة استسلم وقال:

-"لم لا؟"

-"لو قلتها فلن يبقى شيء كما كان، ولسوف تصير الحياة بالغة التعقيد.. "

-"وهل يوجد مانع عندك؟"

-"لهذا أرجو ألا تقولها.. لا أريد أن أطالب بالتفسير"

كنت أعرف يقينًا الخطبة التي سيلقيها حالاً.. أنا أحبك يا (هند) وقد صارت الحياة عسيرة من دونك.. أعرف أن فارق السن هائل لكن هناك تجارب كثيرة مماثلة ونجحت.. إن النضج أهم شيء في الموضوع وأنا ناضج.. الخ..

طبعًا هناك ألف سبب للرفض، لكن السن ليست السبب الأول.. صحيح أنه في الأربعينات من العمر وأنا في العشرينات، لكنه يبدو شابًا وسيمًا ولا مشكلة هنالك.. السبب الأهم هو أن العلاقة بين متحابين ليست بالبساطة والتلقائية التي تميز علاقة صديقين.لن أتصل به بهذه البساطة أطلب رأيه.. لن آتي لمكتبه بهذه التلقائية.. لن أكلم أمي عنه ببراءة.. كل شيء سوف يتغير. الخطبة ومشاداتها التي لا تتوقف.. إنه في نفسي أروع من هذا وأهم.. الزواج والخلافات والزوج

الغاضب الذي يقف بالمنامة غير حليق الذقن حافي القدمين على باب الحمام ينتظر دوره.. لا.هو أسمى من هذا..

إنني احترمك كثيرًا لهذا اخترت لك دورًا أفضل.. دع هذه الأدوار السخيفة لشباب أصغر سنًا وأقل مهابة منك أرجوك..

نظرت في ساعتي ثم أعلنت أنني سأنصرف..

قال لي:

-"هل عرفت حقًا ما أريد قوله؟.. كنت سأطلب منك أن تراجعي كتابًا جديدًا لي.. "

ابتسمت.. طبعًا هذه أكذوبة، فقط هو يحاول أن يثبت لي إنني مخطئة، بينما أنا متأكدة مما شعرت به.. لا مجال للخطأ سواء لهند ذات القدرات الخفية أو المرأة التي تشعر بكل شيء..

قلت له في خبث:

-"طبعًا.. هذا هو ما خمنته.. لهذا طلبت ألا تقولها لأنني لا أجد في نفسي القدرة على القيام بهذا.. "

تنهد في ارتياح وقال:

-"كما تشائين.. سوف أراجعه بنفسي"

هكذا نزلت في الدرج حائرة.. لم أحب أن أمر بهـذا الموقـف ولا أريد أن أؤذيه، فهو ناصحي.. أو my mentor كما يقول الغربيون. ما كنت لأجتاز غابة القدرات الخارقة المخيفة هذه من دون عونه. وبفضله صرت عضوًا مفيدًا في المجتمع ولم أعد أرتجف خوفًا من نفسي..

عدت لداري شاردة صموتًا، وسألتني أمي عما بـي فقلـت لهـا: الحر.. لم تقتنع لكنها عرفت على الأقل أنني غير راغبة في أن أتكلم..

تناولت الغداء وتأهبت للنوم، عندما دق جرس الهاتف..

كان هذا هو النقيب (سمـير البنـا) ضـابط الـشرطة الـذي يطلـب رأيي في القضايا المستعصية.. قال لي بصوت مبحوح:

ـ"هنـد.. اعـرف أن الوقـت مـزعج، لكننـا بالفعـل نرغـب في حضورك.. "

تنهدت في تعب وقلت:

ـ"سيارة مدنية؟"

ـ"بالتأكيد.. "

سوف تأتي سيارة مدنية لتقلني، لأنني لن أجد سيارة أجـرة في هذا الوقت، ولأنني لم أعد أتحمل قدوم سيارة الـشرطة لأسـتقلها وسـط

نظرات الجيران المتسائلة، وهمساتهم "لقد خدعنا فيها.. واضح إنها فتاة من إياهم وقد لاقت جزاءها!!"

عدت أسأله:

ـ"ماذا حدث؟"

ـ"فتاة مخطوفة.. لن تبحثي عنها لأنها عادت فعلاً.. المطلوب منك..."

قلت له في نفاد صبر :

ـ"أعرف.. أعرف.. التأكد من أن قصتها حقيقية صادقة."

ـ"هو كذلك.. "

وفي الطريق في السيارة التي جاء يوصلني بها، حكى لي القصة..

(مها فوزي).. طالبة في كلية الآداب.خرجت منذ يومين لزيارة صديقة لها واستقلت سيارة أجرة الساعة الثالثة بعد الظهر، لكن السائق لم يوصلها حيث أرادت.. انطلق كالمجنون في الشوارع وفي شارع جانبي اقتحم السيارة رجلان قاموا بوضع منديل مبتل على أنفها فغابت عن الوعي.. عندما أفاقت كانت في بناية مهجورة خارج المدينة.كانت وحدها فتمكنت من الفرار وعرفت أنها في الجيزة.. هكذا تمكنت من العودة لدارها..

-"وما الذي لا يريحك في القصة؟"

قال وهو يحك رأسه:

-"كل شيء.. الفتاة لم تُمس.. لم يُمس مالها ولا عرضها فلماذا خطفوها؟.. لم يطلب أحد فدية.. موضوع المنديل المبتل هذا يحدث في السينما لكنه غير ممكن في الواقع.. القصة كلها غير مريحة.. "

دخلنا مكتبه في قسم الشرطة، وهناك كان ثلاثة من الضباط يجلسون وأمامهم فتاة دامعة في سن الكليات ومعها أبوها المذهول الغاضب.. كان يردد بلا توقف:

-"لم يعد هناك موضع آمن في البلد.. لا أعرف ما تقومون به أصلاً.. ما دوركم؟"

قال النقيب وهو يجلس خلف المكتب ويجرع جرعة من الماء من زجاجة:

-"سوف نجد هؤلاء القوم يا سيدي.. ثق في هذا.. "

ثم أشار لي كي أكلم الفتاة.. نهضت وجلست جوارها فأجفلت، لكني أحطت كتفها بذراعي بطريقة فتاة تريد أن تطمئن أختها، ونظرت في عينيها..

كاذبة.. كاذبة.. لا شك في هذا...

هناك (علاء).. هناك شاب وسيم لا يقبل أهلها به.. (علاء) وزواج عرفي.. (علاء) يطالبها بالفرار معه ليتزوجا بشكل رسمي.. الفرار.. الندم.. الحيرة.. بعيدًا عن البيت لمدة يومين.. لابد من العودة...لكن لابد كذلك من تفسير.. والتفسير هو قصة شائعة عن سائق الأجرة الذي اختطفها.. لن يعرف أحد شيئًا..

قلت لها وأنا ابتسم:

ـ"هل تمكن (علاء) من بيع جهاز المحمول بسعر معقول؟"

نظرتْ لي في ذهول وتوحش وهتفت:

ـ"عم تتكلمين؟"

ـ"بالطبع اضطررت لإعطاء المحمول لعلاء كي يتخلص منه.. ما كان يمكن أن تعودي به وتستقيم قصتك.. "

رأيت الأب يتصلب وتتسع عيناه.. هو يعرف الاسم ولديه شكوكه الخاصة إذن..

هنا استدرت إلى النقيب وقلت بلهجة من يلقي حقيقة لا شك فيها:

-"اسمه (علاء).. لم يختطفها لكنه سيعترف لكم بكل شيء.. بعد يومين من فرارها قررا أن الخطة مستحيلة التنفيذ.. "

نهض الأب وانقض علي وقد تحول إلى ثور آدمي غاضب:

-"من أنت؟.. آمرك ان تخرسي!!"

وقبل أن يبلغني استدار وهوى بصفعة مدوية على خد الفتاة.. قبل أن ينقض عليه الضباط لمنعه من التمادي.. وجروا الاثنين خارج الغرفة..

نظر لي النقيب (سمير) باسمًا وقال:

-"لقد حللت لي المشكلة.. كنت أشك في شيء كهذا لكن إثباته كان صعبًا، والآن من الواضح أن الأب والابنة سيتكلمان كثيرًا ولسوف تتضح الحقيقة.. خطوة كهذه أعفتنا من أشهر من البحث عن سائق سيارة الأجرة المزعوم.. "

ساد الصمت، فقلت له:

-"هل بوسعي العودة لداري؟"

-"بالطبع.. سأوصلك.. "

وهنا لاحظت أن نظراته غريبة.. لقد شرد قليلاً ثم سافر ذهنه

إلى أراض غريبة.. يمكنني أن أخمن ما يفكر فيه الآن.. سوف يقولها..

قلت في توتر:

-"بالله عليك.. لا تقل ما تنوي قوله.. "

نظر لي للحظة ثم تنهد وقال:

-"ماذا أنوي قوله؟"

-"لا تقله والسلام.. أكره أن أضايقك..

ساد الصمت من جديد وبدا عليه نوع من الضيق.كانت سنه مناسبة وهو وسيم فعلاً لكني لا أريد.. لا أعرف السبب لكني لا أريد..

ماذا حدث لي؟.. لماذا تحولت إلى فاتنة رجال بهذه السرعة؟.. كلهم يقع في غرامي وأنا لا أعرف السبب ولا أريد هذا الجو ي ماذا؟.. أنت لم تقل شيئًا"

وفررت بسرعة قبل أن يقول أي شيء..

في غرفتي رحت أتأمل صورتي في المرآة.. نفس الوجه ونفس الملامح.. ربما أكثر أناقة في هذا الثوب، لكن هذا لا يعني شيئًا.. هل أنا أظرف؟.. أذكى؟..

ثم خطرت لي فكرة.. زجاجة العطر التي أرسلتها لي صديقتي

المقيمـة في فرنـسا.هـذا العطـر اسمـه (أنوثـة) وتـزعم العبـارات علـى الزجاجة أنه لا يقاوم وأن الرجال سيلاحقونك. عبارة دعائيـة سـخيفة لكن الحقيقة هي أنني لم أستعمل هذا العطر إلا اليوم.. هل هـذا العطـر يعمل فعلاً؟.. هل له خاصية لا يعرفها من صنعوه؟.. هـل يـؤدي عمـل الفريمونات التي تنبعث من الحشرات؟

دخلت أختي الغرفة لتجلب شيئًا ما، ثم توقفت ونظـرت لـي.. قالت ضاحكة:

-"لشد ما أنت فاتنة اليوم!.. ليتني كنت رجلاً لأطلب يدك.. إن الرجال محظوظون فهم يفوزون بالجمال في النهاية، بينمـا نفـوز نحـن بزوج قبيح يعبث في أصابع قدميه طيلة الوقت!"

ثم نظرت لي في دهشة وأنا أنجه إلى الحمام وسألتني:

-"ماذا تفعلين؟"

قلت وأنا أفتح الغطاء الزجاجي:

-"أسكب هذا العطر في البالوعة.. أنا أمقته ويبدو أنه سوف يـسبب لي مشاكل كثيرة، ولن أعطيك إياه لأنـه سيـسبب لـك مـشاكل أكثـر.أنـت تعرفين أنني أملك حاسة سادسة لا تخطئ.. صدقيني في هذا.."

الكلب يعرف أكثر.

لم تكن تجاربي مع الكلاب رائعة قط..

معظم هذه التجارب يتلخص في مشهد واحد: أنا واقفة وظهري للجدار أصرخ، بينما كلب عال شامخ غاضب يزوم بلا انقطاع من بين أسنانه وشعر عنقه منتفش، يقطع علي الطريق.. هناك درجات لعواء الكلب، لكن أسوأها ذلك الزوام الخافت المنذر بالويل..

هنا يظهر أحدهم ملوحًا بعصا ويطرد ذلك الكلب المتمرد وأتنفس الصعداء. هذه هي علاقتي بالكلاب وهي علاقة ليست جميلة جدًا كما ترى..

ماذا عن الاتصال النفسي؟.. لم يحدث قط، وهو لغز غريب.. خيل لي دومًا أنه من السهل الاتصال بالحيوانات العجماء لأن قواها النفسية قوية، ولأنها أرواح فقط لا يخفي حقيقتها تفكير عاقل، لكنني دائمًا مخطئة في هذا..

فشلت في الاتصال بالقطط أو الكلاب أو الأرانب أو الخيول. خيل لي ذات مرة أن بوسعي الاتصال بدجاجة مذعورة ثم عرفت أن هذا مستحيل..

إلى أن جاءت القصة التالية..

كنت عند خالتي.. إن لديها خمسة أطفال هم أقرب إلى الشياطين، وقد قضينا وقتًا مزيجاً من الممتع والعصيب.. المجاملة كذلك تجعل لحظات حياتك أصعب، عندما يقذف أحدهم بالكرة في عينك، فأنت لا تجرؤ على صفعه أو إلقائه في الشارع من النافذة، وإنما تبتسم لأن خالتي ستتضايق لو فعلت ذلك، وعندما تتضايق خالتي تتضايق أمي..

كان أخي يلعب معهم.. وكانت أمي تثرثر مع أختها، عندما انفتح الباب ودلف ذلك الشيء المرعب..

كلب!.. لقد اقتنوا كلبًا أخيرًا، وهو شيء غير مفهوم خاصة مع مساحة شقتهم شديدة الضيق.. هذا الكلب يحتاج إلى مزارع واسعة ممتدة يرمح فيها ليصطاد البشر..

أحاط الأطفال بالكلب وراحوا يشرحون لي كيف أنه مسالم

ودود.. فقط علي ألا أبدي ذعرًا أكثر من اللازم فهـذا يـوتره وقـد يقـضم ذراعي كلها..

ـ"ما اسم هذا الشيء المفزع؟"

ـ"اسمه (ميلو)"

كان صموتًا بالفعل، وقد قررت أن أتحاشاه قدر الإمكان.. لكنـه من الطراز كثير التدخل الذي يمقت أن يكون وحيدًا، لذا كنـت أجلـس إلى المائدة لأشعر بشيء يلعق ساقي أو يشم قدمي فأجفل.. عنـدها يقـول لي الأطفال:

ـ"حاولي ألا تثيري أعصابه بهذا التوتر.. الكلاب حساسة جدًا"

كأنني لا أملك أي نوع مـن الحـساسية، وكـأنني يجـب أن أظـل صامتة بينما هذا الغول يلتهم ساقي..

في نهاية اليوم أعلنت خالتي خبرًا ظريفًا.. إن زوجها قد ابتـاع أرضًا صحراوية في منطقة (وادي النطرون)، وهو يلـح عليهـا أن تـذهب معه والأولاد لقضاء يوم هناك..

ـ"سوف تأتين معنا.. سوف نستأجر سيارة (فـان) تتـسع لهـذا العدد"

قالتها لأمي في مرح، فوافقت على الفور.. كنا في الإجازة الصيفية ولم يكن هناك ما يشغلها أو يشغل أختي أو أخي..

صاح الأطفال في مرح:

-"سوف نأخذ معنا الكلب..

كانت خالتي مترددة طبعًا، لكن الفكرة لم تبد سيئة.. الكلب البائس بحاجة إلى مساحات يركض فيها، ومن العسير تركه وحده في الشقة يومًا كاملاً لأنه سيدمر كل شيء..

الرفض الحقيقي كان من جهتي أنا.. لن اقضي يومًا كاملاً مع هذا الشيء، لكن أمي أقنعتني أنه سيكون في عهدة الأطفال ولن يضايقني في شيء.. إن بشرتي شاحبة وبحاجة إلى بعض الشمس.. الخ..

حسن.. هكذا تبدأ الكوارث..

لو رغبت في قضاء يوم ممتع في الصيف، فلا تذهب لوادي النطرون من فضلك.. سوف تحرق الشمس كل خلية في جسدك، ولن تعرق أبدًا لأن الشمس ستحرق كل خلية عرق في جلدك.. سوف ينسف الصداع مخك نسفًا، ولسوف يدخل الهواء الساخن إلى رئتيك

فيحرقهما.. دعك من الذباب.. الذباب الصحراوي المرعب الذي يحاول أن يقضم قطعة من لحمك..

كنت مرهقة جدًا ومتعبة في السيارة الفان.. وقد لحقت بنا سيارة نصف نقل يركب فيها زوج خالتي مع سائق، لأنه ينوي نقل بعض الأشياء من هذا المكان. بلغنا بيت الميعاد في الصحراء، ولا أعرف سبب الحماسة التي تدعو إنسانًا لشراء أرض وسط هذا القفر..

كان البيت قد بيع مع الأرض، ويخص ملاك الأرض السابقين الذين — طبعًا — أخذوها بوضع اليد.مجرد بيت صغير من طابق واحد بني من قرميد أحمر، وله باب خشبي مغلق وعدة نوافذ يبدو كأنها لم تفتح منذ دهور..

كنت أتوق للدخول.. مكان ظليل واحد في هذا العالم.العربة ظليلة لكنها جمعت كل حرارة الكون داخلها وهي غير مكيفة.عالج زوج خالتي الباب الخشبي فانفتح، ومن الداخل تصاعدت رائحة عطن ورائحة أثاث قديم.. قال لي باسمًا:

-"لا تدخلي على الفور.. تمهلي.. "

قلت له لاهثة:

ـ"لست ممن يخافون الفئران.. "

قال وهو يدق الباب بقدمه:

ـ"من تكلم عن الفئران؟.. أتكلم عن الثعابين والعقارب طبعًا!."

دخلنا البيت بحذر، وكان الزوج قد زاره عدة مرات، فلم نتوقع مفاجآت بشعة.. هناك في المدخل (أنتريه) عتيق يبدو كأنه يمت لأربعينات القرن الماضي.. لا توجد سجاجيد ولا مفروشات طبعًا، لكن هناك الكثير من الخشب بحالة معقولة.. وقد فتشنا المكان بعناية بحثًا عن مفاجآت غير سارة فلم نجد شيئًا..

خرجت من البيت للحظة، وتركتهم بالداخل.. هنا وجدت مشهدًا مقلقًا..

الطفل الأصغر يجذب الكلب من طوقه ليرغمه على دخول البيت، والكلب متحفز يحفر الأرض بمخالبه كي لا يدخل.. كان شعر عنقه متصلبًا وشعر ذيله منتفشًا وثمة حالة من التوتر العارم.. بالطبع هو أقوي من الصبي وأثقل لذا لن يستطيع تحريكه..

لماذا يرفض الدخول بهذا الإصرار؟

دنوت منه في حذر، ونظرت في عينيه المعبرتين.. كل عيون الكلاب

معبرة جدًا.. حاولت أن أفهم ما هنالك لكنه لم يحـبني قـط. كـاد يقـضم يـدي وأطلق زمجرة مخيفة، فقال لي الطفل:

-"ابتعدي يا (هند) عنه.. هو لن يعضني لكنه لا يثق بك.."

هنا ظهر زوج خالتي فسألته عن سبب توتر الكلب، فقال بـلا مبالاة:

-"لقد دربناه على عدم دخول أي منزل غريب.. يجب أن يكـون بريًا.. "

ثم نادى سائق السيارة نـصف النقـل وبـدأ ينتخـب بعـض قطـع الأثاث لتحميلها على السيارة.. سألته عن السبب فقـال إن بعـض قطـع الأثاث ثمينة يمكن أن تكون أنتيكات حقيقيـة، فقـط تحتـاج إلى نجـار بارع وحرفي دهان خشب أكثر براعة..

-"سوف ترين قطع الأثاث هذه بعد تجديدها.. تحف فنية"

تم نقل كل شيء وتناولنا وجبة سريعة، ثم لعب الأطفـال لعـدة سـاعات مـع الكلـب الـذي بـدأ يهـدأ قلـيلاً.. وعنـد الغـروب تحركـت السيارتان عائدتين إلى المدينـة..

عند بيت خالتي ترجل سائق العربة نصف النقل، وتعـاون مـع

زوج خالتي على نقل قطع الأثاث إلى الشقة الخالية التي تملكها الأسرة في الطابق الأول.. بينما يسكنون في الطابق الرابع..

أخيرًا عدنا إلى بيتنا منهكين، فأخذنا حمامًا وتناولنا وجبة عشاء، وقلت لأمي:

-"هذه آخر نزهة من هذا الطراز أقوم بها في حياتي.. في المرة القادمة سيكون افضل ما تقومين به هو تركي وشأني.."

-"أنت غدوت صعبة الإرضاء فعلاً.. "

دخلت فراشي فأغلقت النور وساد ظلام مريح.. أشعر بأن كل عضلة من جسدي في اتجاه وأنني ما زلت أركب السيارة الكريهة..

الشمس.. الشمس.. الفجر يقترب فهل نمت حقًا؟

نباح الكلب.. ماذا أتى به هنا في أحلامي؟.. لماذا يركض خائفًا؟..

في هذه اللحظة أدركت الحقيقة: إنني على اتصال به.. هذه هي المرة الأولى التي أدرك فيها أن روحي على موجة واحدة مع موجة حيوان.. أرى كل شيء من عينيه.. رؤية منبعجة ومن أسفل.. أشعر بالخطر.. أشعر به.. ولكن.. من أين يأتي الخطر؟؟.. هذه الأريكة العتيقة لا شك في هذا.. لا أريد

ان أقترب منها.. أخشاها كثيرًا.. كل ذرة في جسدي ترفضها..

صحوت خائفة أرتجف.. نظرت للمنبه.. التاسعة صباحًا..

لا أعرف كيف نهضت فغسلت وجهي وارتديت ثيابي، ثم خرجت والجميع نيام.. ركبت سيارة اجرة قاصدة بيت خالتي..

الشقة في الطابق الأول كانت مفتوحة.. عرفت هذا..

اقتحمت الشقة لأجد زوج خالتي واقفًا يثرثر ويضحك، ورآني فبدت عليه معالم الدهشة.

كان الأنتريه مكدسًا هناك حيث تركناه أمس.. ما زال يحمل زمال الصحراء وغبار الطريق، ويبدو أن خالتي وزوجها استيقظا مبكرًا فقررا النزول لمعاينة ما عادا به من الصحراء..

خالتي كانت جالسة على الأريكة في وضع تمثيلي، كأنها تقلد واحدة من الأميرات أو ممثلات الماضي الفاتنات.. تتكلم من أنفها وقد وضعت ساقًا على ساق..

كانت حاسة الخطر قد بلغت ذروتها عندي، فجريت وجذبتها من ذراعها صارخة:

-"انهضي!!"

-"هل جننت يا هند؟"

لكني كنت قد أبعدتها فعلاً...ووقف الزوجان ينظران لي في ذهول كأنما يتساءلان عما إذا كان وقت استدعاء عمال مستشفى المجانين قد جاء أم لا.درت حول الأريكة في حذر.. نعم.. يمكنني سماع الصوت الغاضب..

كانت هناك عصا مكنسة على الجدار فمددت يدي وأمسكت بها، وبحذر انتزعت قطعة من تنجيد الأريكة.. كانت ممزقة في هذا الجزء بالذات.. على الفور تعالى الفحيح الغاضب.. ودنوت ودنا زوج خالتي لننظر في رعب إلى الحيوان الأسطواني الضخم المغطى بالحراشف الذي اتخذ مسكنه في حشو الأريكة، والذي أخرج رأسه وراح يطلق فحيحًا..

هتف بصوت مبحوح:

-"الحية المقرنة.. الطريشة!.. أخطر ثعبان في مصر.. عرفتها عندما كنت في الجيش، وسمها يقتل خلال نصف ساعة!!"

الحية التي لم تجد مكانًا مريحًا من قيظ الصحراء سوى هذه الأريكة، ونحن الذين لم نجد سوى هذه الأريكة لنأخذها معنا إلى

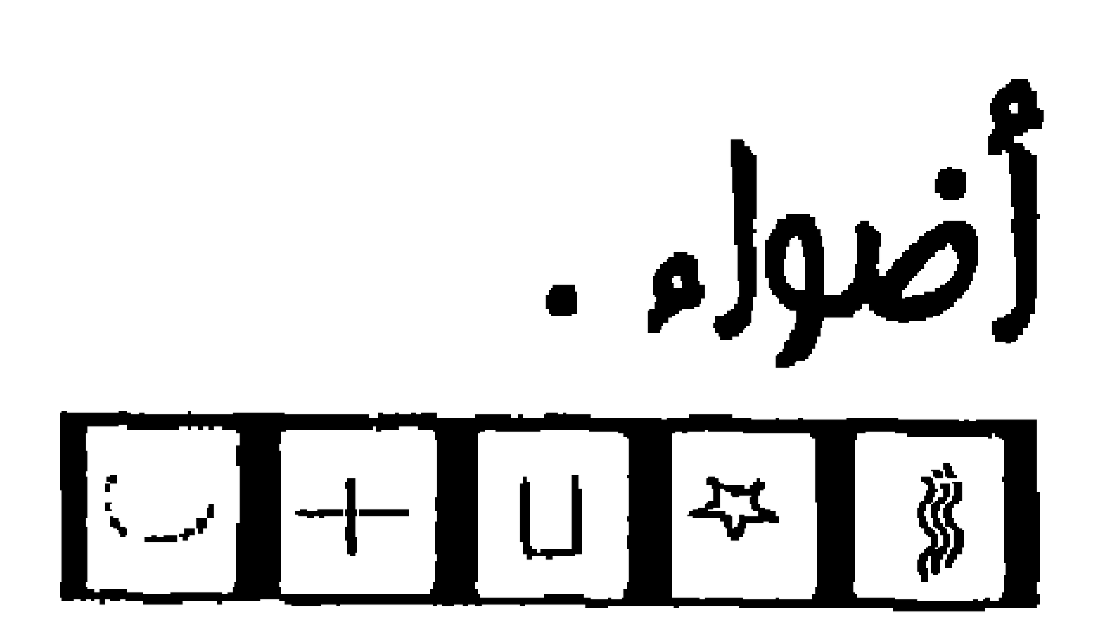
ديارنا.. لقد كانت خالتي تجلس فوق الحية حرفيًا..

قال زوج خالتي وهو لا يبعد نظره عن الأريكة:

-"ابتعدا.. إن هذا النوع الصحراوي يقفز قفزًا ولمسافات واسعة.. يمكن أن تجديها في صدرك في أية لحظة.. اطلبي شرطة النجدة فلا أعرف حلاً آخر!"

وبينما دارت الأحداث كما ينبغي أن تدور، رحت أتذكر الكلب.. الكلب الذي لا تخطئ حاسته.. والذي استطعت بفضل موهبتي أن أعرف لمحة مما يفكر فيه، ومن المؤسف أنه لم يدخل هذه الشقة وإلا لأثار رعبه ريبتنا..

بيني وبينك.. اعتقد أنني يمكن أن أحب الكلاب لو منحت نفسي الفرصة والوقت اللازمين لذلك.. إنها كائنات شديدة الحساسية والذكاء، ومن الصعب ألا يقع المرء في حب أي كائن ذكي حساس.



أضواء .

يجب علي أن أقبل هذه الحقيقة.. إنها محاولة للاتصال..

كانت تلك الفيلا الصغيرة ذات الطابق الواحد في نهاية شارعنا، وكنا نعرف أن أحدًا لا يقيم فيها منذ زمن لأن سكانها بالخارج معظم العام.. في النهاية تلخص هؤلاء السكان في السيدة (عواطف).لم أرها قط لكني عرفت ممن حولي أنها عجوز مسنة غريبة الأطوار، وكانت بدورها زائرة غير منتظمة.. تدب الحياة في الفيلا وتفتح النوافذ فنعرف أنها هناك..

من كنت أعرفه فعلاً هو قريبها (عادل)، وهو شاب ظريف مهذب كان يزور أبي كثيرًا من وقت لآخر.. كان ضابطًا بحريًا يعمل في الإسكندرية، ويتردد على قريبته العجوز من حين لآخر ليمضي يومًا أو يومين، ثم يزورنا ليودع أبي..

لم يكن يتكلم عنها كثيرًا، لكنه كان يعطي إيماءات ساخرة

خافتة توحي بأنها مجنونة فعلاً.. برغم هذا كان يجلب لها الكثير من الهدايا، كما كان يحمل لها الأسماك البحرية التي يصعب أن تجدها هنا..

بالطبع لم يكن أبي موجودًا في الفترة الأخيرة، لذا لم نر (عادل) لأنه كما قلت مهذب جدًا، ولا يمكن أن يزورنا في غياب صاحب البيت..

في مراهقتي كنت أتخيل السيدة عواطف كما يظهرون هذا الطراز من النساء في السينما: عجوزًا متشككة تربي الكثير من القطط، وتدخر مال قارون في علب طعام محفوظة.. ربما هي تمارس السحر الأسود كذلك أو تأكل الخفافيش.. الحق إنني كنت أخافها كثيرًا، وساعد على ذلك أني لم أرها قط.. الخيال يضخم الأشياء ويجعلها غريبة..

بالطبع لابد أن تكتمل قصة هاته النسوة بأن يمت مقتولات أو يمتن ميتة شنيعة، ولم تخيب السيدة (عواطف) ظنوني..

هناك فتاة تعسة مصابة بفقر الدم اسمها (هاله) تتردد على بيت العجوز لتنظيفه، وقد دخلت البيت في ذلك اليوم وغابت بضع دقائق في الداخل، ثم خرجت وصراخها يهز الشارع هزًا..

خرج الجميع ليرى ما هنالك، ووقفت مع أمي وأختي في الشرفة لنعرف مصدر الصراخ..

كانت الفتاة تولول.. وفهمنا من الكلام أن السيدة عواطف ماتت..

عندما جاءت سيارة الإسعاف وسيارة الشرطة، كان ما رأيناه بشعًا برغم أننا رأيناه من مسافة..

كانت المحفة التي حملها رجلا الإسعاف مغطاة، لكن الغطاء تحرك فأدركنا أن هناك جثة متفحمة تمامًا.. لقد احترقت العجوز..

كانت هالة تصرخ وتولول، وعندما استعادت صوابها دعتها أمي إلى بيتنا لتعرف منها ما حدث..

قالت هالة راجفة:

-"لابد أن المدام كانت تسخن شيئًا على الموقد عندما تمسكت النار بثوبها المصنوع من قماش صناعي.. لابد أنها عرفت أنها تحترق وهرعت إلى الحمام محاولة أن تغمر جسدها في المغطس.. لكن النار كانت أسرع وسقطت على الأرض وماتت.. لهذا السبب لم تشتعل الفيلا كلها لأن النار حوصرت في الحمام.. مسكينة.. "

وراحت ترتجف...ثم اضافت كأنها تخشى أن تتهم بالرقة:

ـ"مجنونة – فليرحمها الله – ومخبولة تمامًا لكن من الحرام أن تلقى ميتة كهذه.. "

سألتها في حذر:

ـ"هل تعتقدين أنها أشعلت النار في نفسها؟"

قالت في صلابة:

ـ"مستحيل.. كانت تعشق الحياة عشقًا والموت هو الشيء الوحيد الذي يثير ذعرها.. "

بدا لي هذا مقنعًا.. ويبدو أن الشرطة اقتنعتِ كذلك..

كان هذا منذ عام، وقد ظلت الفيلا مغلقة من حينها، لكنها صارت ذات ثقل خاص في شارعنا.. هذا مكان ملوث بالموت.. مكان شهد أحداثًا درامية عنيفة.. منذ عام كانت هنا امرأة حية تصرخ وهي تحترق..

منذ أسبوع كنت أقف وحدي في الشرفة، أنظر لظلام الليل مفكرة في عشرات الأشياء التي تفكر فيها الأنثى عندما تنظر لظلام الليل..

دخلت أمي الشرفة لتجمع الغسيل، وكانت تمارس هذه العملية ليلاً لأنها تكره أن يراها الجيران.رحت أنظر للأفق وانا أثرثر معها ثم سألتها:

-"هل عاد (عادل) لفيلا قريبته؟"

قالت وهي تفرد قطعة من الغسيل على يدها:

-"كيف لي أن أعرف؟.. ولماذا تسألين؟"

أشرت إلى الفيلا.. إلى تلك الأضواء المتقطعة الصادرة منها.في الواقع بدا لنا أن هناك من يضيء النور ثم يطفئه بلا توقف..

نظرت أمي في دهشة، وغمغمت:

-"لا أعرف مصدر هذه الأضواء بصراحة.. لكن من المؤكد أن أحدًا بالداخل.. "

ظللت أرقب المشهد للحظات، واعترفت لنفسي بأن فيه شيئًا رهيبًا لا أعرف كنهه.

في اليوم التالي جاءت (هالة) – الفتاة التعسة – لتساعد أمي في شغل البيت كعادتها، فسألتها أمي عما إذا كان أحدهم قد جاء لفيلا السيدة (عواطف).. هل عاد (عادل) قريبها؟

قالت (هالة) في رعب:

ـ"لا يا سيدتي.. لكن أكثر من واحد من سكان شارعكم رأى هذه الأضواء.. يعتقد البعض أن هذا لص.. لكن الفيلا خالية كما تعلمين.. البعض يعتقد أن... بسم الله الرحمن الرحيم"

طبعًا عرفنا ما تقصده بهذه البسملة، فاتهمتها أمي بالجنون وطلبت منها أن تسكت..

بدأت أشك بالأمر فعلاً عندما رأيت الأضواء ذاتها في الليلة التالية..

كان الضوء يتوهج لفترات ثم يتوقف.. يضيء فترات طويلة.. ثم قصيرة.. باستمرار مريب.. حاولت أن أغمض عيني واستجمع موهبتي لفهم ما يحدث لكني لم أر شيئًا..

هنا دخلت أختي الشرفة وراحت تراقب الأضواء بدورها.. والدهشة تعقد لسانها.. ثم هتفت:

ـ"لولا خشيتي أن تتهميني بالجنون لقلت إنها إشارات ضوئية.."

ـ"إشارات؟.. تشير لماذا؟"

راحت تشير:

-"هذه إضاءة تدوم لفترة قصيرة.. ثم إضاءة طويلة.. نقطة.. شرطة.. شرطة.. نقطة.. شرطة.. نقطة.."

سألتها في حدة:

-"هل تعنين إنها إشارات مورس؟.. ومن يرسلها؟"

-"لا أدري.. لكن يخيل لي أن لها معنى.. "

وراحت تدون على ورقة صغيرة ما تراه مستعينة بكتيب صغير:

-" نقطة.. شرطة، ثم.. شرطة.. نقطة.. شرطة.. نقطة.. ثم نقطة، ثم نقطة شرطة.. نقطتان.. ADEL.. الإشارات تقولADEL "

نظرت لها في ذهول.. ما تقوله غريب لكنه منطقي..

السيدة (عواطف) ترسل لنا رسالتها الأخيرة.. وهذه الرسالة تحمل اسم (عادل).. لماذا؟.. الغرض هو أن تخبرنا باسم قاتلها!.. لا أرى الموضوع في أي ضوء آخر..

العجوز الثرية التي قتلها قريبها. خبر معتاد في صفحات الحوادث.. ضربها ففقدت الوعي ثم جرها للحمام وأشعل فيها النار، وغادر الفيلا قبل أن يراه أحد.. لكنه نسي أن أرواح القتلى تنتقم..

الروح قلقة تريد أن نظفر بالقاتل..

رحت أراقب الأضواء في رعب..

ولكن من قال إن الأرواح تجيد شفرة مورس؟.. لا مشكلة.لابد أنها تجيد أشياء كثيرة.. هذا مخيف لكنه منطقي...

في الصباح جاءت (هالة) فسألتها إن كانت تملك مفتاح الفيلا؟

ترددت قليلاً ثم اعترفت بأنه معها.. كانت العجوز قد أعطتها نسخة منه، وقد ماتت العجوز فلم يعد هناك من تسلمه المفتاح..

قلت لها:

-"أريده!.. لا تسألي عن شيء.سوف أعيده لك غدًا.. "

وناولتها بعض الأوراق المالية لأشتري سكوتها، وبعد ساعتين كنت في الشارع أمام الفيلا، أنظر حولي.. الشارع مزدحم وليس من يلاحظ أي شيء.ببساطة فتحت البوابة الحديدية واجتزت الحديقة نحو البيت..

من يتصرف بطريقة طبيعية لا يجذب انتباه أحد، وأنا موقنة من أن مشاكل الناس تعوقهم عن ملاحظة فتاة نحيلة تدخل فيلا قديمة عند الظهر.

أولجت المفتاح في القفل ودخلت..

المكان مظلم رطب.. بالطبع لم ير الشمس منذ ذلك اليوم الرهيب ، فلولا أننا في الظهيرة لمت رعبًا.لكني لست خائفة.. لقد جئت لأساعدك يا سيدة (عواطف).. أنت تعرفين هذا.. سوف أدخل الحمام وأحاول أن أحس بما حدث بالضبط.. ربما وجدت دليلاً أقدمه للشرطة.أنا مثلك أكره أن يعيش قاتل طليقًا ينعم بمالك بعد ما فعله بك.. فقط لا تثيري هلعي أرجوك..

لحسن الحظ كانت النوافذ غير محكمة الغلق وكانت الشمس تتسرب لتغمر كل شيء.. ضوضاء الشارع عالية.. هذا جعلني أكثر شجاعة.. إن معي كشافًا على كل حال..

أنا الآن في الغرفة التي كان يأتي منها الضوء.. غرفة خالية إلا من فراش وكومود يبدو أنهما مستعملان ورائحة العطن تملؤها.. هناك فئران على ما أعتقد مما يجعل من الواجب أن أنتهي من هذه المهمة.اتجهت إلى مفتاح النور وتفحصته فوجدته في وضع الإضاءة.. هذا غريب:لا يوجد ضوء هنا.. إذن الضوء مفصول عن الفيلا كلها ربما منذ الحادث (أو الجريمة، وهذا يؤكد من جديد نظرية الشبح الذي يبعث رسالة..

خرجت من الغرفة وبحثت عن الحمام..

بالفعل كان الحمام في مواجهة المطبخ.دخلته حيث كانت الشمس تغمره متسللة من نافذة ذات قضبان، ووقفت للحظات أنتظر الشعور بشيء.. لابد أن يتم الاتصال الآن.. لو لم يتم فمتى؟.. أنا في دارك يا سيدتي.. أنا أعرف ما تريدين..

لكن لا شيء..

تجربة فاشلة تمامًا.. من الواضح أن علي أن أرحل..

وقفت من جديد في الصالة الواسعة أصغي السمع..

هل هذا صوت أنين؟.. بالفعل هو كذلك...

مشيت نحو مصدر الصوت وقلبي يرتجف.. نظرة واحدة.. لو وجدت ما يريب سأفرُ كالفئران وأجلب معي رجل شرطة أو بعض الجيران..

الصوت آت من وراء هذا الباب.ماذا وراءه؟

فتحت الباب في حذر فرأيت ظلامًا دامسًا وشممت رائحة كريهة جدًا.. بعد ما اعتادت عيناي الظلام أدركت أن هذا قبو.. قبو يقع تحت الفيلا، نهبط له عن طريق درجات..

هل أهبط؟

فتحت الكشاف وصوبت حزمة من الضوء على الجدران، ثم جعلتها تنحدر لتكشف ما يحدث هنا.

كان المشهد الذي رأيته غريبًا حقًا ولعله آخر شيء توقعته..

كان هناك ذلك الجسد الملقى على الأرض تحت لوحة توزيع الكهرباء، وفي يده عصا مكنسة طويلة يتمسك بها.. رفع رأسه الواهنة ونظر لي فرأيت وجهًا كوجوه المجانين، وعينين لامعتين، ولحية كثة.. لكني عرفت كذلك أنه (عادل)..

قال بصوت مبحوح واهن:

ـ"سا.. ساعديني!"

وأدركت على الفور أن قدمه مكسورة بشكل مروع..

لم أنتظر أكثر ورحت أثب الدرجات مندفعة إلى خارج الفيلا لأصرخ.. لأطلب الشرطة والإسعاف..

وكنت قد بدأت أفهم ما حدث، وفيما بعد عرفت أن هذه هي الحقيقة بعينها..

بعد وفاة العجوز – التي لا ذنب له فيها – عاد (عادل) منذ أسبوع إلى الفيلا ، فلم يعرف أحد أنه هنا، وقد قضى ليلته في تلك

الغرفة المطلة على الشارع ، وفي الصباح أراد أن يبحث عن شيء في القبو.. نزل هناك في الظلام فانزلقت قدمه من أعلى الدرج وتهشمت تمامًا.هكذا وجد نفسه في مأزق حقيقي.. هو وحده يرقد على قاع القبو حيث لا أحد يسمعه أو يعرف أنه هنا. لم يكن معه جهاز الجوال ولو كان معه لما وجد شبكة الاتصال عاملة في هذا المكان..

لعل المسكين صرخ يومين آملاً أن يسمعه أحد في الشارع الصاخب، لكن لا جدوى. هنا تذكر أن هناك غرفة واحدة مضاءة في الفيلا كلها هي التي كان يقيم فيها.خطر له أن الضوء المتقطع يلفت الأنظار.هكذا زحف بجسده الواهن والتقط عصا مكنسة قديمة، وراح يعبث في لوحة توزيع الكهرباء ليقطع الكهرباء في تلك الغرفة ويعيدها، وقرر أن يمارس هذا النشاط ليلاً ليلفت الأنظار..

كان يعمل في البحرية، لذا قرر أن يرسل حروف اسمه بطريقة مورس عن طريق الضوء المتقطع.كما كان يحاول أحيانًا إرسال إشارة الاستغاثة الشهيرة) SOS ثلاث نقاط.. ثلاث شرط.. ثلاث نقاط..

قال لي:

-"كنت قد يئست تمامًا.. وصرت أفعل هذا بشكل تلقائي، لكني كنت متأهبًا للموت "

هكذا عرفت أنه لم يقتل العجوز.. وإنني لأحمد الله بشدة على أن غبائي لم يطل يومًا آخر، وإلا لوجدنا جثة أخرى في القبو، فما كان هذا المسكين ليتحمل يومًا آخر بلا طعام ولا شراب.

حفل صاخب

من وقت لآخر أتلقى دعوة لحضور حفل زفاف أو خطبة واحدة من صديقاتي..

لا تنس أننا في سن التخرج، وأن الفتيات كبرن. بعضهن لم ينتظرن يوم التخرج ليرتبطن. هذه لحظات مليئة بالشجن تعرفها كل فتاة، دعك من القلق الداخلي بصدد قدوم دور الواحدة منا. متى؟... هل تكون فرصة جيدة؟.. ماذا لو تأخر الأمر أكثر من اللازم؟

يجب أن تمتلك الفتاة حاسة شديدة التعقيد كي تنتظر حتى ترى أفضل الفرص، وفي الوقت ذاته لا تفوت فرصة ممتازة.. الأمر يشبه المضارب في البورصة.. لا يجب أن يتعجل ويبيع فورًا، لكن عليه كذلك أن يشعر بحاسته بأفضل فرصة للبيع. طبعًا لا ينطبق هذا الكلام على قصص الحب وإنما ينطبق على الزواج التقليدي العادي.. زواج الصالونات كما نسميه.

متى يأتي دوري؟.. مع من؟

من الغريب أنني أملك هذه الحاسة العجيبة، لكن الغد مستغلق أمامي تمامًا.. فقط أمني نفسي بأنني لحظتها سأعرف إن كان صالحاً أم لا..

هأنذا في حفل خطبة (شاهنده) صديقة الدراسة الثانوية، والتي صارت طالبة في كلية علوم الآن، وهي فتاة ظريفة، لكنها أقرب لعجوز طيب قصير القامة يضع عوينات غليظة، له أسنان أرنب لطيفة مما جعلها تظفر بين صديقاتها باسم (أرنوب)، ولا يعني هذا شيئًا فيما يتعلق بحبي لها..

الليلة أراها فأرى حورية من حوريات الأساطير.. لقد تخلصت من العوينات بعدسات ملتصقة ملونة، وبدت أطول قامة، كما اعتنى بتجميلها خبير من خبراء التجميل، ويبدو أنها قومت أسنانها العام الماضي.فلم يبق إلا أن تكون هي سندريلا وتفر من الحفل عند منتصف الليل..

لقد شهقت دهشة ثم تمالكت نفسي، وشققت طريقي حتى بلغتها ولثمت خديها مهنئة.قلت لها صادقة إنها تبدو فاتنة.

ثم تراجعت لأراقب كل شيء من بعيد..

مشكلة هذه المناسبات أنك تقابل كل من لم تره منذ خمسين سنة.. لا أشك لحظة في أن القابلة التي أشرفت على ولادتي موجودة هنا..

قبلات.. دهشة.. قبلات.. مصافحات.. قبلات.. أحضان..

كل فتاة عرفتها في حياتي هنا..

لكن جوهرة الحفل بلا أية مبالغة كانت صديقتي (ناردين) طالبة الآداب بارعة الحسن، والتي كانت متأنقة جدًا.. حول عنقها عقد باهظ الثمن.. لا أفهم في هذه الأشياء لكن من المؤكد أنه من الماس.(ناردين) من أسرة ثرية وقد خطبت مؤخرًا لرجل أعمال فائق الثراء.. كان معها، وكان مثلها في الأناقة أو أكثر.. وكان يضع دبوسًا ماسيًا آخر في ربطة عنقه.لم يكن وسيمًا لكنه كان متألقًا..

تنهدت في حسرة.. (ناردين) تبدو وتتصرف كالحلم.. وهذا من حقها، لكن عليها أن تبتعد عن العروس قليلاً..

كانت هناك شلة من الأهل منهم السعداء ومنهم المتظاهرون بالرقي ، وطبعًا حشد من العمات الشمطاوات والخالات الأريبات والأمهات المتشككات.. هناك كذلك الشباب من زملائنا وأقاربنا وهم

مجموعة ظريفة مفعمة بالأحلام، لكن ليس هناك منهم من يصلح كعريس من غير قصة حب.. كلهم أو أكثرهم مفلسون..

اصطدمت بناردين وخطيبها، فهللت في مرح:

-"هند!!"

واحتضنتني وقدمتني لخطيبها:

-"مراد.. للأسف أنت لم تحضري حفل الخطبة.. "

صافحت هذا الفتى.. فجأة شعرت بشعور غريب من النفور. هذا الفتى غير صادق على الإطلاق وليس كما يبدو.

قلما شعرت بشيء كهذا في حياتي.. إنه كذوب.. مدع..

كان لي رأي غير مريح في رجال الأعمال، لكن لا أعتقد أنه لعب دورًا في هذا الانطباع.

دارت محادثة سريعة مليئة بالتكلف، ثم هززت رأسي محيية وابتعدت.بدأت موسيقا صاخبة جدًا من مكان ما فراحت القاعة تهتز، وكما هي العادة قررت بعض الفتيات أن يفرضن أنفسهن على الجالسين، باعتبارهن راقصات عظيمات جدًا.. الفكرة هنا أن هذه طريقة استعراض لا يعترض عليها القانون ويتجاوز عنها المجتمع،

بينما لو وقفت فتاة في وسط الشارع وراحت تروح وتجيء مستعرضة نفسها لوجدت أنها في مستشفى الأمراض العقلية بعد عشر دقائق.العروس القادمة شاهنده تتكلم مع أخيها، بينما خطيبها يبعثر الضحكات هنا وهناك.. (ناردين) تقف هناك جوار الشرفة وحدها.. (مي) أين هي؟.. إنها ترقص..

كان الصخب مستمرًا وأنا موشكة على أن أفقد وعيي.. عندما...

عندما انقطع النور وساد الظلام...

دوت صرخات مذعورة.. صرخات مبهورة.. صرخة أعلى من سواها..

بعد دقيقة من الذهول تناثرت أضواء خافتة زرقاء حيث خرجت أجهزة الجوال، وصاح أحدهم:

-"لا تقلقوا.. القاعة مزودة بمولد.. "

لكن هناك المزيد من الصراخ.. فتاة بعينها تصرخ في جزع.لا تفسر أي شيء لكن تصرخ فحسب.. بعد دقيقة عاد الضوء ليعمي العيون وهلل الجميع...

إلا أن النظرات كلها كانت متصلبة على (ناردين) التي وقفت

ويدها على عنقها.. عرفنا على الفور أنها مصدر الصراخ.. كانت في حالة هستيرية:

ـ"العقد!!.. بمجرد أن انطفأت الأضواء انتزع أحدهم العقد!!"

سادت الفوضى، وسرعان ما جاء خطيبها (مراد) وقد اكفهر وجهه وصاح آمرًا:

ـ"لا يغادرن أحد القاعة!...هناك لص هنا!"

ومن مكان آخر جاء أحدهم ممسكًا بذراع أحد عمال القاعة:

ـ"هذا الرجل الطيب يؤكد أن أحدهم قد فصل الكهرباء.. لوحة التحكم وراء هذا الباب وهناك رافعة يمكن لأي طفل أن يجذبها لأسفل.."

ـ"أطلبوا الشرطة"

كان العامل مذعورًا فهو المتهم الأول، لكن أحدًا لم يشك فيه بالطبع.. كان عليه أن يعبر القاعة كلها وسط الأجساد والظلام لينزع العقد من عنق (ناردين).. لا أحد يمكنه عمل هذا ما لم يكن قطًا..

من مكان ما عادت الموسيقا خافتة تعزف لكن مزاج الكل قد تعكر طبعًا وسرت الهمسات..

ربع ساعة ثم ظهر رجال الشرطة.. ضابط شاب برتبة نقيب ومعه شرطيان..

كان مرتبكاً.فالموقف أكبر منه.. عدد المشتبه فيهم كبير فعلاً.لكنه كان منظم التفكير، لذا كان أول سؤال يوجهه هو:

ـ"هل غادر أحد القاعة؟"

قال خطيب ناردين:

ـ"فقط لو كان الذي سرق العقد قد جرى بسرعة البرق ليغادر المكان، لكن أعتقد أن أحدًا لم يرحل.. السارق هنا والعقد كذلك.. "

قال الضابط وهو يجفف العرق:

ـ"أغلقوا القاعة.. "

ثم قال للواقفين:

ـ"أعتقد أننا مضطرون لتفتيش الحاضرين.. الرجال سوف يدخلون القاعة الجانبية، ولسوف تأتي ضابطة شرطة لتفتيش السيدات.. "

وأمر رجال الشرطة القادمين معه بالبحث في كل ركن بالمكان..

من السهل أن يضع احدهم العقد في مزهرية أو في دورق عصير أو وسط

باقة أزهار..

برغم الاحتجاج تم كل شيء كما طلب..

كنت أعرف جيدًا أن النتيجة سلبية.. ما من لص أبلـه ليـسرق العقد ويدسه في جيبه.العقد متوار في موضع ما بالقاعـة.. لكـني كونـت نظرية لا بأس بها.

انتحيت بالضابط وقلت له همسًا:

ـ"عندما انقطع التيار الكهربي كانت (نـاردين) تقـف وحـدها، ولم يكن خطيبها رجل الأعمال في القاعة أصلاً"

نظر لي ضاحكًا وقال كأنه يكلم مجنونة:

ـ"العقد ملكه!.. هل يسرق المرء ما يملكه؟"

إنه لا يقرأ قصصًا بوليسية.. يـسرق المـرء مـا يملكـه عنـدما يكـون مؤمنًا عليه، ويسرق عندما يكون في ضائقة مالية ويحتاج إلى ثمن العقد دون أن يتشاجر مع خطيبته. لقد لمست يده وعرفت أنـه مخـادع غـير صـادق.. ربما كان في ورطة مالية حقيقية.. هؤلاء القوم لا يبـدو علـيهم الفقـر أبـدًا حتى لو كانوا في وضع مالي شديد السوء. المظهر جزء من تجارتهم.

قلت له وأنا أبتعد:

-"أرجو أن تفكر في هذه النقطة جيدًا.."

ثمة نقطة ضعف واحدة في نظريتي هي أن الرجل يجب أن يملك سرعة البرق ويجيد التحرك في الظلام.يفصل التيار الكهربي ثم يركض كالبرق نحو خطيبته لينزع العقد ويخفيه، ثم يبتعد قبل أن يخرج أحدهم جهاز المحمول المضيء..

الضابط بالفعل اهتم بالأمر واتجه نحو (مراد) ليتبادل معه الحديث.

نظرت لساعتي.. الحادية عشرة مساء وسوف يصل خالي بسيارته بعد قليل ليقلني للبيت. هكذا اتجهت إلى العروس لأقبلها وألتقط صورة معها. من المؤسف أن هذه الليلة توترت بسبب هذا الموقف لكنها ستنسى بسرعة.

لثمتها على خدها وهنا ظهر مصور من مكان ما ليلتقط لنا صورة..

هنا بدأت أشعر بتلك الأعراض الغامضة.. حاستي تتحرك.. لا شك في هذا..

نظرت لشاهنده في رعب فنظرت لي بعينيها الملونتين

الصناعيتين في عدم فهم. مددت يدي إلى المروحة التي تمسك بها فأبعدتها بحركة تلقائية..

قلت لها همسًا وأنا اضحك للكاميرا:

ـ"لم يجسر أحد طبعًا على تفتيش العروس وحتى لو فعلوا ما كانوا ليهتموا بالمروحة.. لكني أنصحك بأن تطوحي بها بقوة ويدك جوار المقعد، هكذا سيسقط العقد على بعد خطوات ويجده أحدهم أثناء التنظيف.. لو لم تفعلي لكان لي تصرف آخر!"

شحب وجهها وبدا أنها موشكة على أن تفقد وعيها، وهمست بصوت مبحوح:

ـ"كيف عرفت؟"

قلت كاذبة:

ـ"رأيت أخاك عندما رشا العامل ليفصل التيار الكهربي.. انقطع التيار، وكانت ناردين على بعد مترين منك فوثب أخوك وانتزع العقد معتمدًا على ما يذكره من موضعها قبل الظلام.. ثم عاد ليدس العقد في يدك ويبتعد، وأنت دسسته في المروحة.. "

بدأ وجهها يتبدل والدموع قادمة لعينيها فقلت:

-"لا تتلفي الماكياج.. ستبدين كالقردة.. هل تم هذا التخطيط الآن؟"

قالت وهي تتكلف ابتسامة أمام العدسات:

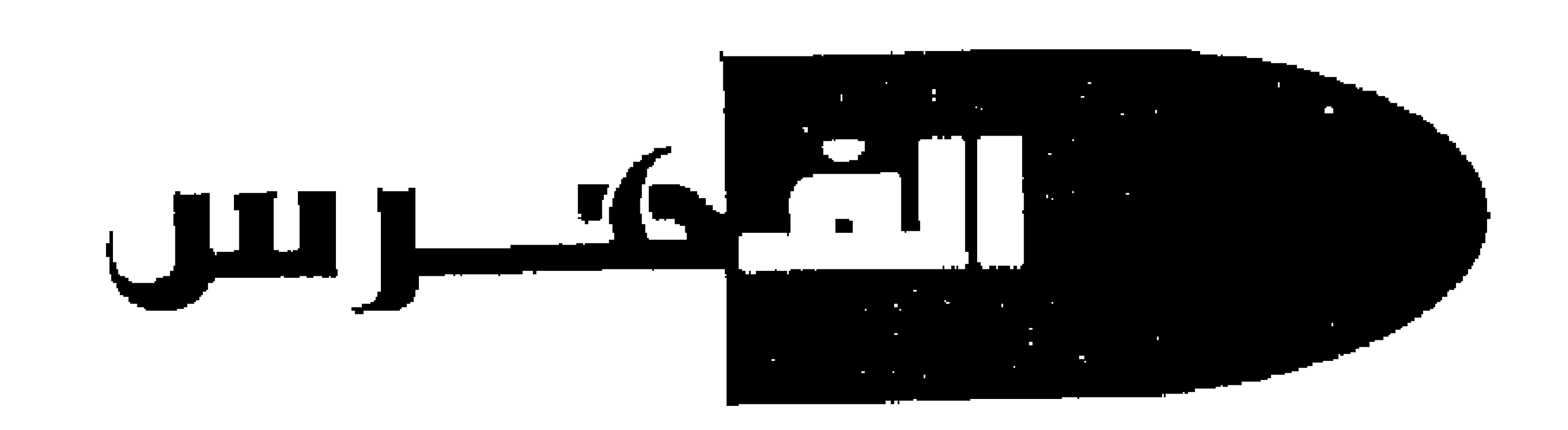
-"نعم.. أنت تعرفين الضائقة التي نمر بها أنا وخطيبي.. عمليًا كل ما مع أبي أنفقه في حفل الخطبة هذا، ثم ظهرت ناردين.. ثرية مدللة.لا تشعر بأهمية العقد ولا تعرف ما يمثله لنا.. هكذا رسمت خطتي بسرعة وهمست بها لأخي.. وقد قام بما يجب، خاصة أن ناردين كانت قريبة منا جدًا.. "

قلت لها وأنا أبتعد:

-"سأعرف في الصباح أنهم وجدوا العقد.. وإلا.. "

برغم كل شيء هي خطة ذكية، فما كان أحد ليشتبه في العروس مهما حدث.والأغرب أن أخاها اقتنع بهذه السرعة بأن ينفذ معها هذه الجريمة..

لم أفسد شيئًا.. هي تلقت درسًا لا بأس به، ولم أفسد أجمل ليلة في عمرها.. والشرطة لن تتهم رجل الأعمال السمج بشيء.. فقط الدرس الذي تعلمته أنا هو أن المرء قد يكون سمجًا غير مريح، لكنه شريف!


الفهرس

x x x

E.S.P.

قصص



د. أحمد خالد توفيق



اسمي (هند الشافعي) .. لدي موهبة تجعلني قاد
إيجاد الحقيقة في أغرب الحوادث وأكثرها غموضًا .
استطعت أن أزيح الستار عن قصص حيرت الكثيرين و
رجال الشرطة. هناك أسماء كثيرة لموهبتي تلك
حزمة كاملة من القدرات التي يطلق عليها العامة
(الحاسة السادسة)، بينما أفضل أنا أن أطلق عليها اسم
الإدراك الفائق للحواس أو E.S.P ...



